بسم الله الرحمن الرحيم

المـــرأة

انســانيتها . . . وايمانهـا

السيد فالح السيد احمد البدراني

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

مطبعة عصام ـ بغداد

خطبة الكتاب

الحمد لله حق حمده تعالى شأنه • والصلاة والسلام على رسوله الكريم محمد وآله وصحبه وامته وجنده ، شاهدا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ومستعيذا بالله تعالى من الفتنة كل الفتنة • من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له •

وبعد ، فان لكل واحدة من النساء ذاتها وسلوكها كانسانة تعيش حياتها ، وتفهم موقفها ، وتتخذ قراراتها بتأثير أو اكثر ، وتجدد مفاهيمها ، وتغير اتجاهاتها بما يطرأ ويؤثر فيها • فالحديث عن المرأة ككل يجب أن لا يخص نوعا من النساء واحدا بل يتطرق الى المعايير

المثالية للمرأة لكي تهتدي على هديها وتتصرف على ضوئها .

أما هذه المعايير ، فلابد لهـا أن تنبع من المصادر الموثوقة فى سمو غاياتها وصحة اتجاهاتهـا نحو هذه الغايات الساميات ، فلا يوخذ معيار من شخص ينصب نفسه موجها للمرأة بينمـا لا تتفق غايته مع مصالحها اتفاقا منطقيـا يقره الواقع وتؤيده العواقب حتى وان أضفت عليه العناصر المشبوهة القابا وعظمته فى أعين الناس .

ولهذا فالكاتب الذي يكتب للمرأة وعن المرأة ، يجب أن يضع نصب عينيه انه يكتب لأمه واخته وزوجته وابنته وقريبتـه وجارتـه وتلميذتـه ، شاكرا شكر الابناء لفضل الفاضلات وموجها توجيه الأب ومرشدا ارشاد المعلم الناصح ، على أن لا يورد فى ذلك الا ما أقره العرف من مفاهيـم توجه المرأة نحو السعادة فى

حياتها الدنيا وفي الآخرة ، فيضع الميزان القسط بين يديها لتقوم بوزن افعالها واقوالها واخلاقها واحوالها فتسترشد بالحق والصواب حتى تصل الى حال الرضا والسعادة مهما كانت عليـــه من حال وظروف سهلة أو صعبة تعيشها •

من هذه الاسس ينطلق هذا الكتيب الى بيـــان الحقيقة الحقة لمصلحة الامهات والفتيات فلا تخفى عليهن عندما تكون الواحدة فى مسيس الحاجة لكلمة ناصحة وتوجيه صائب • وما اطيب الذكرى التي تنفع المؤمنين عنـــدما تأتي فى الوقت المناسب قبل فوات الاوان • فمن انتفعت فقد شكرت • والله تعالى هو المشكور وهو الشاكر العليم •

الله تعالى أسأل أن يجعل هذا الكتاب من العلوم النافعة ، وأن يحفظه من كل زيغ وسوء فهـــم ، وأن يجعله قربة لنا جميعا إنه تعالى سميع مجيب •

السيد فالح السيد احمد البدراني

ص ب ١٤١٤٤ باب المعظم ـ بغداد

الباب الاول
المرأة في مثل كامل كريم

يُمهّد للحديث عن المرأة الكاملة بالحديث عن الكمال اولا . فالكمال في الشيء هو سموّه عن وصول الآفات اليه . فالحجر الكريم ، مثلا، لا تنال منه تقلبات الجو الاعتيادية ولا تنخر فيه حشرة. وهكذا لا يُكنز الا ما لا يتأثر بصروف الدهر . ونعود الى المرأة :

هي في كمالها جوهرة وكنز . حباها الله تعالى بفطرة تليق بمنزلة الصالحين لجواره في جنات النعيم ، وخصها بكرم من الاحساس المرهف الذي يبعث فيها الوفاء والمحبة والوداد والتضحية والاخلاص وما شئت من محامد وفضائل تسد كل نقص وتجبر كل كسر

وتدمل الجرح البليغ وتواسي القلوب المكلومة ، وتضيء سبل الحياة وتنير للخير وتسد مفاتح السوء وتدعو للطمأنينة والأمن والسلام • القى عليها خالقها عز وجل ، الحياء الطيّب ليحميها به من صعب المزالق الصلفة ، واكسبها الحنان لتقوم بمهمة الأم السامية فى البرّ والوفاء فى صدقها فى مهمة الجهاد فى بيتها والجهاد فى الحرص على عفتها فلا يعادل ذلك الا جهاد الانبياء وجهاد الشهداء في سبيل الله تعالى •

الا أن كمال المرأة هذا معرّض لآفات لا حصر لها •• ولم يتركها الخالق عز وجل بلا سلاح تقاوم به هذه الآفات اذا عرضت لها • فقد حباها تعالى بوسائل النجاة والخروج من الظلمات الى النور ، وهداها سبل الخلاص • فجعل من حكمته وهداه وقاية لها من كل آفة ، وفرجا من كل ضيق ، ويسرا من كل عسر ، ودرسا وعبرة من كل بلاء يصيبها او يصيب غيرها ليقوّم به عباده وليمتحنهم المنازل على قدر علوّ همتهم بالصبر

والشكر . فمن سار على هدى الله تعالى بميل قلبي ورضا في النفوس فهو الاقرب والاكرم حسب تقواه ، لا يعيقه ضجر ، ولا يحده سخط ، ولا تمنعه شكوى في هذه الفسحة الواسعة من الرضا والصبر .

يبرز كمال المرأة في كمال الانسانية التي هي شق فيها مع الرجل ولا ثالث لهما . ويتمثل كمال الانسانية بسمو التصرف بالغرائز وفق الاتجاه العقلي السليم . فالغرائز التي يشترك فيها الانسان مع الحيوان كثيرة متعلقة بحاجات الجسم وشهوات النفس . ولكن الغرائز التي لا يشترك فيها الحيوان مع الانسان كثيرة أيضا وتتعلق بحاجات وغايات العقل الذي لا يمتلكه الحيوان . فغريزة العبادة ، مثلا ، تلبي حاجة العقل الى الطمأنينة والسعادة . بينما غريزة الجوع تلبي حاجة الجسم الى الطعام ، ولا يملك الحيوان منهما الا غريزة الجوع . فهو يعمل على اسكاتها باشباعها بما حل في يده ولا يبالي من اين . بينما يتجه الانسان الكامل الى

اشباع غريزة الجوع بنور غريزة العبادة . وهكذا في باقي الغرائز كغريزة حب البقاء التي اهتمت بها الاخلاق كثيرا وهي ما تسمى بغريزة الجنس .

ويتمثل سمو تصرف المرأة وبالتالي كمالها بما تتحلّى به من صفات حميدة في الظاهر مقترنة بسريرة سليمة طاهرة في الباطن . ومن هذا السمو تتجلى للعيان صفات الكمال ، فالعفيفه كاملة من حيث العفّة اذا ترفعّت عن كل ما يشينها ، والرزينة كاملة بالترفع عن الهذر ولغو الحديث ـ اي الثرثرة بلا موجب ـ والمخلصة كاملة في يقظة الضمير ، وذات الحنان الصادق كاملة من حيث الرحمة ، والمدبرة في نفقاتها المعاشية للعائلة كاملة من حيث الامانة ، والصادقة في عملها كاملة من حيث الاخلاص والمتقية بالعبادة وبما يرضي ربها كاملة من حيث الدين ، والمتسترة في لبوسها كاملة في الحفاظ على عورها من ظلمات الفساد ، والصابرة في الشدة والكرب كاملة من حيث التسليم لأمر الله تعالى ،

والشاكرة في الرخاء كاملة من حيث التبصر ، والحافظة لاسرار اهلها وذويها كاملة في رجاحة العقل وسموه .. وهكذا مع الفضائل المتعددة التي تتفق كل منها مع حال او اكثر من احوال الانسانية في حياتهـا على ظهر هذه الكرة المعمورة . ولكن ؟

لكـن هنالك عدوّاً للانسـانية لا يطيق ان يرى المرأة تصل الى هذا الكمال الذي يجعلها مفخرة البشرية كما كانت السيدة فاطمة الزهراء ومن قبلها امها السيدة خديجة ومن قبلها آسيا امرأة فرعون ومريم ام سيدنا المسيح ثم امهـات المؤمنين بعد ذلك ، على المسـيح وعليهن جميعا السلام والبركات . فمن هو هذا العدوّ؟ نعوذ بالله تعالى منه انه ابليس الرجيم . أما اعدى منه فهو النفس الامارة بالسوء والتي تفسح المجال لابليس اذا اتبعت الهوى بغير هدى من الله تعالى .

بهذه المواجهة الصريحة النابعة من الفكر المستنير بالحـق والهدى يمكن التأمل في مـا يمكن للمرأة ان

تتخـذه للوقاية من هجـوم الآفات وللحفـاظ على الفضائـل . ولكن قبل التعرف على الوقاية لابـد ان تتعرف على نتائج تسلّط ابليس ، اي يجدر ان نتعرف على ماذا يريد الشيطان للمرأة وكيف يراها على ضوء كيده الضعيف ؟

- يراها اهلا لتكون مصيدة للرجال الذين هـم ايضا محط انظاره في الغواية . فهو عدو البشرية جمعاء . ويتمثل كيده في ما نراه من ظواهر دعوة شـياطين الانس اعداء الفضيلة ، بمختلف الوسائل الكتابية والمسموعة والمنظورة ، الى الانطلاق مع الشهوات بدون ضوابط عقلية ولا تبصر للعواقب .
- يراها اهلا لتكون ضعيفة عاجزة عن مناجزة خصومها فيحثهـا على التشـفي بهم بالغيبة والنميمه والمكر السيء الخفي بقصد الانتقام .
- يراها اهلا للطمع وحب التملك والاستئثار بزخرف

الدنيا فيثير فيها الشح والحسد والطمع بما في أيدي الآخرين .

- يحثها على مواقف الاصرار والمعانده اذا لم يكن الحق بجانبها .
- يراها اهلا لتكفر النعمة بحق زوجها واهلها ، فيثير فيها البحث عن زلاتهم وهفواتهم لتخلق جوا مشؤوما من التذمر والشكوى .
- يراها كالغربال لا تحفظ سرا فيريدها ان تنشر الفضائح وتفسد العلاقات بين الناس .
- يراها ناقصة الثقة بنفسها فيزين لها التبرج والتستر وراء التهتك .
- واكثر من ذلك ، يريدها ان تكفر بنعمة الله وتيأس من رحمته فتستحق الضلال وتستحب العمى على الهدى .

نعوذ بالله من نفس تمهّد للشيطان هذه الرؤى

وهذا التسلط ونعوذ بالله من كيد ابليس ونفخه وهمزه ونفثـه .

فهل المرأة هكذا كما يراها هذا العدو الرجيم ؟ !

حاشا لله الذي خلق الانسـان في احسن تقويم ، وجعل له السبيل للخلاص من اسفل سافلين بالايمان والعمل الصالح وجعل كيد الشيطان ضعيفا .

قال تعالى (إنه ليس له سلطان على الذين آمنو وعلى ربهم يتوكلون)(١) .

- اليس الايمان نورا تحيى به قلوب المؤمنين ؟
- اليس في المؤمنة قوة العفة وصدق الضمير ؟
- اليس فيها سـلامة القلب وحسـن الطوية ونقـاء السريرة ؟
- اليس عندها الامانة ؟

---

(١) سورة النحل / ٩٩ .

● اليست تترفع عن الاستهتار والخيانة في القول والعمل ؟

● اليست تفضل الكرامة والوقار على القيمة الرخيصة في عيون ذئاب البشر ؟

● اليست تحب حقوق الزوجية ورعاية الاطفال وتضحي بالراحة في سبيل اهلها ؟

● اليست تستر القبيح وتصد عن الهوان ترفعا عنه ؟

● اليست تحب الخيرات وتعين العاجز وتبذل الحنان وتكرم المحتاج ؟

● اليست تصبر فلا تقنط من رحمة الله تعالى الذي كتب للصادقين منزلة في مقعد صدق عند مليك مقتدر ؟

اذاً لابد من تنمية عوامل ثبات هذه المنح الربانية وبذلك تبقى في حماية الفضيلة نحو الكمال ، وفي حماية التوكل من كيد الشيطان وقد بصرّها الله تعالى

بما يريد منهـا لتبقى في هذه الحماية • فما هي هـذه العوامل ؟ ومتى تبدأ عند المرأة وكيف تثبت عليها ؟

إن آفات الفضائل لا تقل خطورة عن اسـباب الهلاك بالقوى الجبارة كالنار والكهرباء وفيضان الانهر وما اليها • وكما اتخذ الانسان وقاية وعوازل عن هذه القوى ، فلابد أن تكون هناك عوازل وحجب عن كل آفـة من آفـات الفضائل المحبوبة التي يسـعد بها الانسان • ولم يبخل تعالى بها على المرأة بشكل خاص• وهذه العوازل والحجب تتعدد بتعدد الاسـباب التي تستدعيها ، وتتعدد حسب المرحلة التي تمر بها المرأة • فالطفلة شيء ، والصبية غير الطفلة ، والفتاة والام لهن اطوار ولأطوارهن احكـام ذات اثر من حيث العقلية والحالات النفسـية والاوضاع الاجتماعيـة على كل واحدة منهن •

وهكذا سـتتناول الابواب التالية ، باذن اللـه

تعالـى وبما قل ودل ، المعالم الموجهـة نحو الهدف المقصود والغاية السامية من هذه الحياة التي جعلها الله تعالى مزرعة للآخرة ومتجرا للربح على اللـه تعالى ، ربحا طيبا من رب كريم رحيم ، ومصنعا لصنع الحسنات والافعال الغانمة التي تبقى ذخرا لفاعلهـا يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم .

الباب الثاني
حركة المرأة الانسانية نحو الكمال

لا ينتظر من الانسان ، اذا ترك وشأنه ، ان يصل بسهولة الى العلم والكمال بنفسه • فلابد له من مرشد يبصره • فكيف بالطفلة التي تفتح عينيها على حياة مألوفه لها لا تعرف غيرها بين اسرة متعددة الافراد باعمار متفاوته ولكل منهم خواصه وموقعه • وها هي بينهم تتلقى من كل منهم ما يخصه بها من امر ونهي وتصرف لا يشبه تصرف غيره • وحتى الرعاية التي تتلقاها تختلف من فرد لآخر • وهكذا تكبر ويكبر معها ادراكها لموقعها بينهم وماذا يراد منها وما تستحق منهم وماذا سيحصل لها من جراء تصرفاتها بينهم •

وبتقدمها في عمرها الغض تدرك معنى التكيّف وتوقّع التغيير بين حال وآخر ، وتنطبع في ذهنها مواصفات الفضائل ومواصفات المحاذير ، وماذا تجني من اتباع الخير وماذا يحصل لها من المخالفة . وهكذا تبرز اهمية الوقاية في هذه المرحلة لتحصين الطفلة ضد المحاذير وحفظها من آفات الفضائل التي اكتسبت المعرفة بها والميل اليها .

ان العوامل التي تبعث على وقاية الفضائل الفطرية لدى الطفلة تتمثل في سلوك عائلتها برعاية مصالحها المادية والعاطفية . فاذا علمت الطفلة ان حقوقها محفوظة في حصصها العادلة مع بقية افراد أسرتها ، وان مشاعرها محترمة بينهم فسوف تستقر فطرتها على المحبة والصدق والرضا النفسي الذي تكمن فيه السعادة حتى وان كانت هذه الطفلة لا تعرف ما هي عليه من سعادة بل يكفي أنها تشعر بانسانيتها محاطة باطار من حفظ الحقوق والتكريم والرعاية والتوجيه نحو الافضل ،

وتعرف أن مخالفتها وهفواتها ستفقدها شيئا من هذا العطاء الرغيد على قدر الهفوة ولو بشاشة وجه امها لفترة وجيزة تقول لها فيها : انا زعلانه منك ، فاذا بهذه الطفلة تسعى لاستعادة بشاشة أمها التي تطمئن اليها وذلك بارضائها بتعديل السلوك والاعتذار . ولابد أنها ستنال العفو لانها محبوبة .

هكذا كانت عوامل الرعاية والعدل والرفق واقية لفضائل الطفلة من آفات المخالفات . اما اذا لمست جورا او اجحافاً في توزيع حصتها من شيء تحبه مثلا فانها ستذوق شعورا لا يمكنها رده من ان ظلما قد وقع عليها ، وانها تملك نشاطا يضمن لها حقوقها فتبدأ حسب درجة ذكائها ونشاطها الفطري لنيل حقها فتفكر بالتبريرات التي تبرر لها السرقة مثلا كحل لنيل حقها او تقدر العواقب فلا تسرق بل تطالب بكامل حصتها او تسكت على خوف من غضب ذويها ولكن تكتم شعورها بالاستياء وهذا ما يخزن بها آسى مكبوتا له

عواقب سلبية على مستقبل ايامها لاسيما اذا تكرر مثل هذا الحيف والكبت فان درجة صدقهـا تنحدر ويقل انفتاحها العاطفي بالمودّة والتعاون حتى تتصحح معها المعاملة فتصحح عندئذ سلوكها بعودة سلامتها النفسية الى حال طبيعية خيّرة وكريمة .

لا شـيء كالايمان باللـه يؤثر في التوجيه نحو السلوك الصحيح لدى الطفلة عندما تكبر سـنها الى مرحلة توشك فيها على دخول المدرسـة الابتدائية . ولكن تحرك الطفلة نحو الايمان يتطلب الوعي المناسب وهذا ما يمكن اثارته في سياق السـلوك العائلي في المناسك الدينية والتحدث عن رضا الله تعالى وعما لا يرضاه منا ترغيبا وترهيبا فيكون التحرك نحو الايمان لديها مألوفا وترى ان ادخال رضا الله تعالى في حسبان الانسان جزء من الحياة لا ينفصل عنها ولا تكمل الا به، فاذا كانت البيئة التي تحيط بالطفلة في اسرتها وجوارها خالية من شوائب الاخلاق فان الصحيفة البيضاء للطفلة

ستبقى سليمة لا يعكر صفوها الغموض والحيرة مادام هناك مثل اعلى يقاس عليه .

وفي العائلة التي يكون فيها الأبوان والكبار على علم بتنمية الشعور لدى الطفلة تكون نتائج تصرفاتهم اللينة الهادئة ذات صفات ايجابية بحيث لا يثقل الايمان على الطفلة وعقلها الذي يبدأ يتفتح والتي تهتم بالدمية كأهتمامها بنفسها او اكثر . وهكذا يدخل الايمان برفق وبدون مفاجأة مع باقي الحقائق والمعرفة التي تتوالى بدون انقطاع وبدون التركيز على ناحية دون اخرى وبدون ضغط او تهديد . وهنا يكون التشجيع والثناء من عوامل تنمية الايمان . فمثلا عندما تجارى الطفلة ابويها في الصلاة وتنال ثناءهم عليها فان الرغبة في مواصلة هذا العمل تنمو حتى يكون العمل من الامور المحبوبة فطريا لديها .

وبالنسبة لمكانة الطفلة في الاسرة السليمة فانها

كما تشاركهم على مائدة الطعام وتدرك أنها جزء من هذه العائلة فهي تشاركهم بالاحساس والشعور الموحد كلما مرّ بهم طارىء او مناسبة سعيدة حتى يتدرج هذا الشعور لديها فيطبعها بطابع الارتباط العائلي الذي يبعث فيها الشعور الاجتماعي ويشدّها الى بيئتها الصغيرة فلا تجد الطمأنينة النفسية والفكرية الا في كنفها مهما كان المستوى المالي وتوفر وسائل الراحة في الاسرة او عدم توفرها .

وتنطلق هذه الطفلة مع خطوات الخارجين من الدار لتجد محيطا سكنيا يكون له اثر جديد عليها . فهي ستدرك ان هناك بين اسرتها وبين جيرانها فروقا اجتماعية من حيث التصرف والاخلاق ، فقد تفتقد ما ألفته من حنان بعض الشيء عندما تلعب مع اطفال الجيران ، وقد تجد اوجه شبه لما يجري عند اسرتها . ولكن لابد من وجود اوجه خلاف تتطلب التكيّف فتحس بمميزاتها من حيث الغنى او الفقر ومن حيث

الرفق او الشدة • وتلاحظ الفروق فتذوق احساسا جديدا من الحذر او التمني او الغيرة وحب الأفضل ويثور لديها التساؤل : لماذا هناك هذه الفروق بيننا وبينهم ؟ ولكن بالتدرج تألف المحيط الجديد في الجوار مع شعور بالارتباط مع عائلتها التي يمكن ان تذوق الانفتاح فيها بشكل يبعث فيها الحبور • ويعقب هذا الاحساس ميل نحو التكيف والاقتباس • وهنا تبرز اهمية دور العائلة السليمة في مراقبة التحول في سلوك الطفلة لكي لا تفقد المميزات الحميدة التي عاشتها في اسرتها • وعندما تأتي الطفلة بجديد من السلوك السلبي ، فلابد من ايضاح بسيط رفيق هادىء لمساوىء سلوكها الجديد وعواقبه المزعجه ، ولابد من اثارة المدح لسلوكها الايجابي والذم للسلوك السلبي ، حتى تبقى على خط سليم خال من الحسد والغيرة والضغينة ورغبة التملك او التخريب وان كانت لا تعرف معاني هذه الاحوال الانسانية بل تعرف

ظواهرها من التصرفات السلبية .

ولكل يوم من ايام الطفولة التي تسبق مرحلة الدراسة الابتدائية أثر جديد على الطفلة ينمو معه ادراك او تكتسب به صفة او يثار به طبع من الطباع المختلفة . فاذا خطت اولى خطواتها نحو المدرسة فانها ستواجه يوما يبقى اثره في السلوك وفي الذاكرة نتيجة لتحرك المشاعر الجديدة ازاء الوجوه الجديدة من معلمات وزميلات كبار وزميلات صغيرات ومجتمع صاخب . فالمعلمة تختلف عن الأم في مراقبة الاخطاء او في التسامح بشأنها او اللين في مجابهتها ، والبيت بعيد لا تستطيع الطفلة ان تأوى اليه بسرعة في حالات الصعوبة ولا احد يقف الى جانبها طيلة ساعات الدراسة، بل هناك من قد يشمت بها ويسخر اذا بدرت منها هفوة او كان تصرفها مختلفا عما اعتادوا عليه في بيتهم . وهكذا تنشأ الصعوبة التي تتطلب التكيف بتلافي اسباب الشماته والسخرية والا فالامر شديد اذا

تكرر .

يلعب المحيط الذي تربت فيه الطفلة كما تلعب درجة ذكائها ادوارا مهمة في تكيف الطفلة . فالتي اعتادت ان تنال التسامح في البيت تجد صعوبة في المؤاخذة في المدرسة ، وأما التي اعتادت على الشدة ومخاصمة الصغار معها في البيت والجوار فانها ستكون في موقف اخف وطأة حيث لا تعجز عن مجابهة الشامتات بالزجر والسفاهة بل قد تمتد يدها الى شعر الطفلة الساخرة فتجره وتنحني صاحبته من الالم !

ويأتي هنا دور البيت في تصحيح سلوك الطفلة من آثار المدرسة . ففي العائلة المستقرة مع توفر درجة ذكاء فوق الوسط ستكون العائلة على علم بما يحصل لطفلتهم في سنتها الدراسية الاولى لتوفر عامل الانفتاح بينها وبينهم فتنقل اليهم الاخبار على لسانها على شكل طرائف او شكاوى او طلبات . وستعرف العائلة سبب كل حالة من الحالات وتعمل على معالجتها بما يتطلبه

الموقف السليم في التخلص من المأزق والتعاون مع ادارة المدرسة • اما اذا كانت العائلة دون هذا المستوى بدرجات متفاوته فسوف تتخذ الطفلة التلميذة موقفا غير متسم بالانفتاح النفسي الذي تتمتع به الاولى ، فقد تلجأ الى الكذب او الى الكتمان خشية التقريع أو الزجر في مواطن تتطلب اللين ، وقد تتمارض او تشكو الواقع باستمرار مما يعيقها عن اداء الواجبات ومتابعة الدروس حتى يؤول الامر الى الرسوب • وفي حالات متدنية قليلة يتكرر الرسوب وينتاب الطفلة ضجر من الدراسة تنتظر معه ساعة الخلاص من المدرسة •

هكذا يؤثر الذكاء والاستقرار العائلي والاستقرار النفسي الذي يرتبط به في الغالب وتتولد مشاعر مهمة لدى الطفلة فهي اما تكتسب احترام الذات والاهتمام بالمكانة المحترمة او تكتسب الشعور بالنقص او اللامبالاة في اداء الاعمال المطلوبة منها •

ولاشك ان المعاناة تحصل لتلك التي لا تجد التوجيه او الرفق وهذا ما يهيىء نفسيتها لسلبيات السلوك كالتكتم والكذب والمكائد المرذولة الاخرى ، حتى ترجع الى رشدها مع تقدمها في السن وتأثرها بالصديقات الصالحات ولكن بعد لأي .

ان الفتاة التي تنال في بيتها المستقر قسطا وافرا من التوجيه المبني على الايمان تكون في مرحلة الصبا محفوظة المشاعر من مغريات المراهقة ، التي سرعان ما تقبل عليها ، فتواجهها بنفسية واثقة محافظة على سموّها في عين الله تعالى واعين ذويها وغيرهن ، وتضع نصب عينيها كافة مخزوناتها من التوجيه والتقويم الصحيح والعواقب الحميدة . ومع نموّ الادراك بما يحصل في الحياة وبما يتكشف لها من علم في امورها العائلية وامورها الخاصة الفكرية والبدنية تتكون شخصية امرأة المستقبل وان كانت هناك احتمالات للتأثر السريع او البطيء حسب درجة

نموها العقلي واثر التغيرات في المجتمع الذي تعيش فيه . وهذه المرحلة تتطلب مزيدا من التوجيه والترغيب والترهيب والمراقبة عن كثب من اجل تصحيح السلوك نحو التصعيد ورفع الشأن ، وتلعب المناسك العبادية في العائلة دورا مهما في تثبيت الفتاة على صحة السلوك فالصلاة مثلا تتطلب منها التطهر والوضوء وحفظ بعض سور وآيات القرآن الكريم والشعور بالوقوف بين يدي الله عز وجل . وهذا العمل لا يتوقف بل يتكرر باوقات متقاربة يدوم معها الاثر الطيب وبالتالي السلامة من آفات الفضائل . ويقابل هذا على النقيض منه ما حصل من سلبيات في هذا القرن العشرين على مجتمعاتنا التي تأثرت بالثقافة الغربية اكثر من غيرها . والمقصود بالثقافة الغربية ليس تلك الحضارة والعلوم المتقدمة والمدنية النظيفة الصحيحة ، بل الانحراف وراء الاهواء بالشكل الذي وفدت مظاهره الينا من الغرب .

وقبل الاسترسال مع المرأة في فتوتها وتقدمها

في سنوات الشباب المهمة بالنسبة لها وللمجتمع وبيان الاهتمامات التي تؤدي بها الى الخير والسعادة ، لابد من افراد باب نفتحه على الثقافة الغربية من حيث مظاهرها ومقاصدها واساليب ترويجها في المجتمعات العربية والمسلمة والدول النامية الاخرى ثم اساليب الوقاية منها باذن الله تعالى .

الباب الثالث
قشور الثقافة الغربية
مظاهرهـا ومقاصدهـا

لا يقصد بالثقافة الغربية شيء من العلـوم او الحضارة او المدنية التي تقدم بها الانسان علميا ، بل المقصود بهـا هو الانخلاع عن الفضائل الاسـلامية والتي استهدفت المرأة اكثر من الرجل .

وسميت هذه المظاهر السـلبية بالثقافة الغربية لانها سـادت في اوربا والولايات المتحدة الامريكية قبل التقدم العلمي ، فجاءت مع مجيء العلوم النافعة والرقي الحضاري والمدني ، ولهذا سميت قشـورا . فمن انبهر بالتقدم العلمي ولم يفقه اثر سـموم هذه القشور فقد تأثر بها وانجرف في سياق فقدان مقومات الهوية الموروثة مع عزّ المسلمين ، واعتبرها من مظاهر

التقدم . فلابد اذاً من بيان زيف هذا الاعتبار وكشف حقيقة الثقافة الزيفة . فمن حقائق هذه القشور مايلي :

١ ــ الاختلاط بين الرجال والنساء ، بما في ذلك مراحل الدراسة المتقدمة وما يتبع ذلك من خلق مناسبات جماعية مختلفة كالسفرات البعيدة التي تختلق لها التبريرات الزائفة .

٢ ــ الملابس الخليعة التي تظهر بها الفتيات والنساء في مختلف الاماكن والاوقات مما يتنافى مع الهوية الموروثة في ستر العورات وفي التعفف والاحتشام .

٣ ــ الحفلات التي تؤمها العوائل المخدوعة بشكل مختلط وتقدم فيها الخمور وتعزف فيها الموسيقى ويحصل الرقص فيها بشكل مختلط .

٤ ــ الأصباغ التي تبيح الشريعة باظهارها في الوجه للزوج ولا تبيح ابداءها للغرباء ويدعونها (مواد

تجميل) فاذا قصد بها غير المباح كانت (مواد تقبيح) في عين الله تعالى وعيون العارفين بما يريده الله تعالى ويريده المتبعون لشريعته .

٥ ـ تشبّه الرجال بالنساء ، وتشبّه النساء بالرجال في المظاهر والتصرفات .

٦ ـ اهمال الناحية الدينية والعبادية الى حدّ اثارة السخرية ممن يقوم بها على وجه التمسك والشمول ، وهذا ما يدعو بعض الضعاف للتنصل منها او الخجل من ادائها في اوقاتها بين اهل الترويج لهذه القشور .

٧ ـ مطالعة الروايات السيئة التي توجه الانسان وفق شهواته بعيدا عن العرف والدين . وهذه الروايات معروفة بما تحويه من توجيه خاطيء في الاستجابة للغرائز مهما كانت الافعال التي سترتكب في سياق ذلك طالما لا يطولها القانون .

٨ ــ العلاقات غير المشروعة بين الرجال المتزوجين وغير زوجاتهم من المتزوجات او غير المتزوجات تدرجا من الاستهتار بالقيم الشرعية ووصولا الى الخيانة السيئة .

٩ ــ تبذير المال والوقت بالاسراف غير الضروري في السياحة الماجنة واقتناء التحف الباهضة وتدرجا الى اقتناء اليخوت السياحية التي لا داعي لها سوى النفخة الكذابة بين طبقة ابطرتها النعمة واغفلتها عن جرح فلسطين وغير فلسطين .

١٠ ــ التقنّع بقناع المجاملة الكاذبة وما يؤدي اليه ذلك من التخلّي عن الصدق في العلاقات النفعية على عكس العلاقة الصادقة التي لا تتأثر بالظروف المتقلبة بين الاهل والاصدقاء برفعة وايثار وحفظ اللسان من الكذب مما ينشر الثقة وسمو المقاصد .

١١ ــ توجيه الاهتمام بعيدا عن النخوة والغيرة الى الانغماس بالملذات والى الغفله عن الفضائل .

هذه بعض امثلة مظاهر الثقافة الغربية . وهناك غيرها مما يشكل ، بمجموعه ، اسبابا للشقاء لا يمكن تلافيها بسهولة . وهذا ما يدعو للوقاية منها كما سيلي شرحه باذن الله تعالى .

وتتمثل مقاصد الثقافة الغربية المزيفة لدى مروّجيها ، من الصهاينة واذنابهم ، بكسر حدة المتحمسين من الشباب المتمسك بدينه وغيرته وشهامته ليكون مطواعاً لأهوائهم وبالتالي للسيطرة على الشعوب بسهولة والبقاء في فلسطين يعيشون في العالم فسادا وهم مرتخون على مقاعد السياسة يسخرون الامم عبيدا كيفما شاؤوا . فأي خطر اكثر من هذا يمكن ان ينسف القيم العليا المثلى التي تبقي على كرامة الامة جميعا ؟

ولا عجب اذا رأينا ان المرأة مستهدفة بهذه الحملة المقيته لقشور الثقافة الغربيه ، فالدور الذي تقوم به المرأة في المجتمع ذو اثر اشد على الجيل المقبل الذي تأمل الصهيونية استعباده لانقياده وراء الاهواء التافهة .

أما اساليب ترويج القشور السامة هذه في مجتمعاتنا المحافظة فتختلف حسب المجتمع ولكن بصورة عامة تتمثل بالاشرطة المتحركة والخليعة والمجلات الرخيصة وترويج الدعاية للفنانين الرخيصين واظهارهم سعداء في فضائحهم وخياناتهم ، كما تتمثل بقصص ونكات وتمثيليات ساخرة من المحافظين على دينهم وسلوكهم المثالي كما تتمثل بالتشجيع على الانانية والتملص من المسؤوليات الوطنية والعائلية وتتمثل في اظهار الماضي المحافظ بصورة الجهل والكبت والحرمان والشقاء . وتتمثل ايضا باللهو وترك العبادات او الاعمال النافعة المهمة حتى وصل الامر في الغرب الى

ترويج للمخدرات والشذوذ واظهار شخصيات ذات اهمية وشهرة بانها لا تكترث في القيام بمثل هذه الافعال .

ومن تقديرات مروّجي قشور الثقافة الغربية السيئه ان الجيل الذي انخدع بمظاهره ، ولكنه حافظ على الفضائل الموروثة ، سيفنى وتبقى مظاهرها موروثة للجيل الذي بعده ، ولكنه يتهاون في الامر بالمعروف والنهي على المنكر حتى يؤول الامر الى رؤية المثل العليا لمجتمعاتنا منكرات ، ورؤية البدع المهلكة وكأنها من الامور المتعارف عليها والسائدة فيما بين اهلها الفاسقين . والعياذ بالله تعالى .

فلابد اذاً من الوقاية من هذه الآفة لكي نحافظ على هوية الشهامة والغيرة بدل الدخول في غضب من الله تعالى ، فلا يستحق المجتمع المتخاذل عونا منه وهو العلي القدير .

وبالطبع فان المصلحين يحاولون تدارك معالجة الامور الهدامة عندما يحسون بالخطر . وقد وفدت آفة الهدم مع هذا القرن وانحرف كثيرون بالانسياق وراءها وانبرى اهل الاصلاح يكشفون المحاذير ويوجهون نحو الاصلاح فكان لابد ان تحصل مواجهات بين فرقاء مختلفين ، ولا تعدو هذه المواجهات صفحات الصحف او المنابر او المواعظ . وهكذا كان احد شيوخ المدارس الدينية قد انبرى في اوائل الستينات اي قبل اكثر من ربع قرن لكشف مساوىء الانسياق وراء قشور الثقافة الغربية مع تشجيعه على التعلم والرقي العلمي المتقدم . واشتدت حملته حتى تحدث بها الناس في مدينة كبرى من وطننا العربي . وفي يوم عطلة طلبت سيدة من هذا الشيخ بالهاتف ان تتحدث معه في موضوع يهمها وعلى انفراد في منزله ، وقد ابدى موافقته على ذلك على ان تكون زوجته حاضرة معهما لعدم جواز الخلوه

بالاجنبية (غير ذات المحرم) وحضرت السيدة وكانت في الاربعينات من عمرها سافرة تبدو على وجهها آثار اصباغ ممسوحة وقد سرّحت شعرها وأظهرت اجزاء من ساقيها وساعديها ونحرها • ورحبت زوجة الشيخ بها بكلمات مناسبة واجلستها بجانبها وكان الشيخ الى الجانب الآخر وكلهم يواجهون نافذة مطلّة على باحة الدار المجاورة للمدرسة الدينية • وبعدها بادرت السيدة الزائرة بتوجيه كلامها مبدئة حوارا حول موضوعها المهم الذي اقلقها • انها مديرة ثانوية للبنات ولها زميلات تؤثر فيهن ولها نشاط اجتماعي متميز لما تتمتع به من ذكاء ومكانة اجتماعية فهي زوجة شخص معروف في المجتمع وأم لعديد من الاولاد وصل كبيرهم مرحلة الجامعة • قالت :

السيدة : حضرة الشيخ ، ان الدين الاسلامي الحنيف يسر • وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : يسّروا ولا تعسروا • اليس كذلك ؟

الشيخ : عليه الصلاة والسلام • نعم •

السيدة : هناك كبائر الاثم نحن نجتنبها ، الم يقل سبحانه وتعالى : (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما)(١) •

الشيخ : صدق الله تعالى وهو الغفور الرحيم • ولكن يا اخت أن الاصرار على المعاصي من الكبائر لاسيما تلك التي تغير المعروف الى المنكر • (وقد احس الشيخ سبب هذه المقدمة وهو طلب السيدة الرخص في بعض ما يدعيه مرجو قشور الثقافة الغربية بأنه تحرير للمرأة ، فاردف قائلا): ولا تنسي أنه تعالى قبل هذه الآية بآيات قليلة قال« والله يريد أن يتوب عليكم • ويريد الذين يتّبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما »(٢) •

السيدة : (وقد بدت مبتسمة بخجل لهذه الملاحظة النابهة) :

---

(١) النساء / ٣١ •

(٢) النساء / ٢٧ •

اليست المرأة انسانه مستقلة الفكر ؟ او لم تبلغ منهن من بهرت العالم بما قدمته عبقريتها لمنفعة البشرية ؟ فلماذا تنكرون عليها حريتها ، وتريدونها أن تنكمش في متاهات الجهل ، تنتظر الاشارة من زوجها او ابيها او ولي امرها غيرهما ، لتمتثل للاوامر ولا تتلقى سوى اللوم أو التوجيه ؟

الشيخ : ان اهلية النساء امر معروف أقره الشرع • بل ان الخليفتين ابا بكر وعمر كانا يستأذنان من الامام علي لزيارة فاطمة الزهراء (سلام الله عليهم جميعا) بعد وفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فيسمعان منها (من وراء ستار) ما تنصح به وما تبديه من معرفة وكان مثل هذا الاجتماع يذكرهما بمجلس النبوة فتخضل لحاهما من دموع الشوق اليه عليه الصلاة والسلام ، وإن لم تدم لهما هذه الحالة

لسرعان ما لحقت الزهراء بابيها عليهما السلام . وقد قال عنهـا « فاطمة بضعة مني » ، اي انه فضلها على غيرها من رجال ونساء ، فكيف ننكر على المرأة سـمو قدرها اذا كانت في منزلـة العالمة المرشدة المتجهة للخير والصواب؟ ولاتنسي أن أمنا عائشة عليها رضوان اللـه تعالى كانت تروي الحديث . وها هم اقارب امهات المؤمنين من التابعين يسـأل كل منهم قريبتـه منهن عن سيرة رسول الله وحديثه صلى الاله عليه وآله وسلم . كما كن خير مرشدات للنساء المؤمنات في امور دينهن . ولكن ايتها الاخت ! لو كانت إحداهن (حاشا لله) قد دعت الى ترك حجاب المرأة ، هل كان الذين يتلقون منهن العلم يقرونها على ذلك ؟ كلا . فهل اننا اذا سـرنا على منهج النصح والارشاد نحو اخلاقهن الفاضلة وسترهن الطيب قد انكرنا على جميع النساء تفتح اذهانهن

وشدة الذكاء فيهن في تلقي العلوم النافعة ؟ وقد قال تعالى « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف»(١) اي بما يقره الشرع .

السيدة : ولكن ياسيدي كان واقع المرأة قبل حركة تحريرها صورة للجهل والتخلف وهي الآن تنال الشهادات الجامعية العليا وتسهم في تقدم المجتمع فهل هذا عمل متحال ؟

الشيخ : لا تنسي ايتها الاخت أن الزمن الذي تذكرينه كانت الغالبية من الرجال فيه في وطننا تعيش في جهل معتم ، لا يكاد المتعلم فيهم يصل الى نهاية المرحلة الابتدائية ، ان تيسرت المدارس الحكومية ، والا فالكتاتيب كانت تزخر بالصبية من البنين والبنات ولا يستمر منهم او منهن على

---

(١) البقرة / ٢٢٨ .

حفظ القرآن الكريم وتعلم القراءة الا عدد قليل . وكان الذين يتخرجون من الثانوية اكثرهم من ابناء الذوات الاثرياء وشيوخ القبائل ويوفدون الى الاستانة لدخول المدارس العسكرية ، وينفرد عدد قليل جدا لتعلم الطب والهندسة . ولكن المصيبة التي يغفل عنها الكثيرون هي اقتران التفوق العلمي للغرب مع وصول قشور الثقافة الغربية المتهتكه الينا . وهكذا استغل دعاة نبذ الدين والتعاليم الدينية للمجتمع والاسرة هذه الظاهرة وشرعوا يكتبون ويؤلفون الكتب ويترجمون الرخيص السافر من الادب ويبحثون بدون هوادة وينفقون الاموال ليقنعوا الناس ان العلم والرقي الحضاري لا يتوافران الا بمماشاة الغرب في كافة مناحي سلوكهم وتصرفاتهم ، مع التركيز على التهتك وعلى التحذير من الرجوع الى الفضائل التي

أسموها بالتخلف والجهل والسبات وما اشبه ذلك .

كلنا يقرّ ان الصهيونية عملت جاهدة على افساد الناس وتغيير تمسكهم بالاديان الى حالة من الفراغ الذي لا يحث احدا منهم على الحمية على وطنه ودينه . ومن قبيل هذا الافساد الدعوة الى الانطلاق نحو تقليد المسرفين حتى في الازياء لا سيما النساء . ونقر جميعا ان الصحف التي روجت لذلك في مطلع القرن المنكوب هذا كانت في غالبها في لبنان ومصر وكان اكثرها ترويجا ورخصا بيد اعضاء المحافل الماسونية التي كانت الصهيونية تحركها من وراء التستر والكتمان . ولاشك ان ذوي النوايا الخبيثة الذين قال تعالى فيهم « ويسعَون في الارض فسادا » وهم كفرة اليهود لا يفضحون انفسهم بل يسوقون امامهم بعض الضالين من

ابناء هذه الامة التي كانت تريد اللحاق بالتقدم العلمي . اما اهل الفساد فقد انبروا يطبّلون بالشهرة والمديح والتمجيد لاولئك الضالين ، فأطلقوا عليهم القاب المحررين والعظماء ودعاة الحقوق وقادة النهضة ! .. وما الى ذلك ، حتى لم يعد يجد المصلحون وسيلة اعلامية مكافئة لطبولهم الناعقة من حيث السعة والرواج لتنبيه الغافلين اليها ، حتى وجدت هذه الدعوات الضالة المضللة من يميل اليها ويدعو اليها لأنها تتفق مع هوى نفسه وانعدام الغيرة عنده بما كسبت يده من حرام وسحت ومما اسرف على نفسه واهله . وهكذا وجدنا بين النساء من انطلقن يقلّدن كل بغيض وممقوت من الازياء لمجرد كونها (موضة) جديدة فتخجل من التخلف عنها . الا ان الرحمة الالهية تداركت كثيرات ممن تعففن عن الرخيص والسفاهة واعتصمن

بحبل الله تعالى فاصبحن واعيات باعمالهن وكان فيهن الناهيات عن المنكر والآمرات بالمعروف • فلم يتركن الوقت يمر بدون توجيه النصيحة او بدون ارشـاد لمن معهن • ووفقهن اللـه تعالى لارشـاد كثيرات من اولئك في مجتمعاتهن مع انهن واجهن سخرية ووضعت امامهن العراقيل من شـياطين الانس • وانني واثق ان كثيرات ممن تكشـفت لهن النوايا الخبيثة لدعاة مـا اسـميتيه بـ (تحرير) المرأة قـد عدن الى رشـدهن وتجنبن المصير الاليـم في الدنيـا والآخرة •

السيدة : بـدأت اتلمس شـيئا جديدا من مفاهيـم حضرتك ايها الشيخ الفاضل وهو أنك مصر على ان المرأة ضحية سهلة لمن يخطط لافسادها وهذا يطالبـك بدليل مقنع كمـا هو معهود من اهل الفقه •

الشيخ : عندما تقول (المرأة) ــ كما تقولين باستمرار ــ فكأننا قد جمعنا جميع اصناف النساء في رمز واحد يمثلهن جميعا ، بينما عندما نقول (النساء) كما اقول انا ، فالمقصود الجمع العديد الذي لا يحصيه الا الله تعالى من اصناف النساء فيهن ذات العقل الراجح التي تعرف الحق وتذعن له وتعرف خيرها من شرها جيدا ، فتسلك الى الخير بلا تردد ، وفيهن التي يصل بها الانخداع الى الوقوف مع الباطل لانه مزخرف الشكل او لأن العديدات من امثالها اتبعنه فلا تعرف منطقا معقولا ، ولا تتوقف عن انسياقها وراء هذا السراب ، حتى تجر الخزي على نفسها وذويها ولا دليل لديها . وما بين هاتين الحالتين هناك منازل متدرجة مع تحرك نحول الكمال او انحدار الى النقص بدون انقطاع . فاذا اردت ايتها الاخت ان تدافعي عن بريء فلا تدافعي عن كافة المتهمين

لأن فعل التهمة قد حصل فلابد له من فاعل .

السيدة : وما هو الفعل ياسيدي هنا .

الشيخ : يا اختي قد يطول الحديث اذا عددنا افعالا لم تكن لتحصل لولا الخروج عن العرف المشروع ، سواء بين الرجال او النساء ، وهذا الخروج اسماه الله تعالى بـ « خطوات الشيطان » .

فاستمعي الى قوله تعالى في سورة النور : « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وانتم لا تعلمون . ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤوف رحيم . يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر . ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ، ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم »(١) فانتبهي الى كلمة (المنكر) اي

(١) النور / الآيات ١٦ ـ ٢١ .

الذي تنكره الشريعة وهو معصية أوامر الله تعالى وأوامر رسوله المستمدة منها (صلى الله عليه وآله وسلم) . وهذا يشمل الرجال والنساء، انما الفرق يكون حسب الواقع . فان وقع افعال الرجال في هذا الصدد يختلف عن وقع افعال النساء في نفس المجال ، فليس الذكر كالانثى . ولا اذهب اكثر من هذا . بل اترك لك يا اختي تقدير ايهما اشد على المجتمع أثرا : منكرات النساء التي تجلب العار على عشيرة كل مسيئة السلوك منهن ام منكرات الرجال ؟ ولا اقول انهم ابرياء او محترمون اذا لم يزكوا انفسهم ولكن مكانة المرأة اكثر عزا ومنعةً في هذا ولهذا يكون اثر منكرها اكبر . وأترك لك الحكم : ايهما ادعى للفتنة : ملابس النساء أم ملابس الرجال في اتباع البدع الحديثة ؟ فالرجل مهما ابدل زيه وغير ملابسه فلن يتجاوز العرف الشائع في مظاهر

الرجوله ما عدا ما يفعله مخنثة الرجال • أما وضع الاصباغ على الوجه ولبس الضيّق الشفاف من الملابس فانه دعـوة للافتتان بين أهـل الاهواء الضالة فلا يتورعون عن الطيش وارتكاب الافعال المخجلة التي ما كانت لتحصل لولا اظهار المفاتن، الامر الذي ينكره الشرع ولا يرضاه غيور • ثم لا تحصل المتبرجة على شيء من تهتكها سـوى الخيبة كمن يحصل على السـراب • فلا تدافعي عمّن أثار الفتنة وهو يعلم مـا سيحصل عندما تقولين (المرأة) • بل قولي هناك نساء فاضلات• نعم ، لقد عرفت فتاة كان احـد المنحرفين بهواه الضال يلاحقها بنظراته وهي في الحافلة ، وكان يركز نظره على صدرهـا العاري •• فخجلت ؛ وسارعت اليها حمية تقوى الله تعالى ، فلم تكمل

ركوبها الى حيث ارادت ، بل نزلت وعادت الى البيت ولبست الجبة وربطت رأسها بالحجاب . ولا زالت على هذا الحال . والآن اقول لك ايتها الأخت ، واراك تصغين الى هذا الموضوع باهتمام : ماذا كان يضر الواحدة من الفتيات لو طلبت العلم او عملت في طلب الرزق ، وهي مستورة الجسم غضيضة البصر ، لا يرى منها الرجل انفتاح الوجه ببسمة مشجعة ، ولا تدخل معه في موضوع غير ما تدعوه ضرورات العمل ؟ اليس هذا ضمن منهج السعادة الذي رسمه تعالى للنساء ؟ وكيف يدخل مرضى النفوس من الرجال الى مداخل الهوى والشبهات في حال الستر وغض البصر ؟

السيدة : اذاً المخدوعون هم الرجال ايضا مع النساء فلماذا اشتدت الحملة على النساء دون الرجال المخدوعين .

الشيخ : هذا يحتاج الى ايضاح جانب من الاوامر الشرعية ، ولكن قبل ان اشرح ذلك اشير الى اهتمام المصلحين تجاه الرجال من ارشاد ووصايا. فقد بذلوا جهودهم وحصدوا بعض زرعهم في توجيه كثير من الشباب الى العفة واقامة العبادات. فكانوا قدوة في العمل بالحكمة والموعظة الحسنة. واعود الى الشريعة ، فانت تدركين انني رجل دين ولا ابحث الموضوع الا في حدود الشريعة التي لا يمكن السير فيها مع الاهواء المخالفة لها من نظريات وزخرف القول غرورا بغير سند عن يقين . وقد قال تعالى : « أأنتم اعلم أم الله ؟»(١) لقد فرض الله تعالى الصلاة وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر ...

السيدة : لمعلوماتك حضرة الشيخ انني وزوجي واولادي

---

(١) البقرة / ١٤٠ .

نصلّي ونصوم رمضان فهل لن يقبل الله تعالى صلاتنا وعباداتنا التي اعرف انها خالصة لوجهه تعالى ؟

الشيخ : جميل منك هذا الخبر . فالصلاة صلة بين العبد وربه ، وقبولها من اختصاصه تعالى ، وليس من شأن امثالي التقوّل في ارادته الحكيمة الرحيمة . بل من شأننا ان نطيعه في كل امر ما استطعنا : « فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير* ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون* واقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين* واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين* فاولا كان من القرون من قبلكم اولو بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واتّبع

الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين *»(١)
قلت ايتها الاخت ان الله تعالى فرض الصلاة في اوقات محددة ، لا تتجاوز في ادائها دقائق لكل وقت . ولكنه امر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يقول لنسائه وبناته ونساء المؤمنين « ... يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما »(٢) كما امره « وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير اولي الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء . ولا يضربن

---

(١) سورة هود / الآيات من ١١٢ ـ ١١٦ .
(٢) سورة الاحزاب / الآية ٥٩ .

بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن • وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون »(١) وهذا امر متواصل ، لا يحدد بوقت ولا ينقطع في ظرف متغير ، وليس فيه رخصة كما في رخصة التيمم او قصر الصلاة وجمعها في السفر والمرض •

كان الشيخ يلقي كلامه ويتلو هذه الآيات القرآنية الكريمة والسيدة مصغية في هدوء وحضور الخاطر ولمس الشيخ هذا مما يدل على تقبّلها وهذا ما يستدعي عرض المزيد من المعرفة ذات العلاقة • واردف قائلا : والآن اسمحي لي ان اثير موضوعا جانبيا عن تعدد اصناف النساء فلا نحكم على كل الصنوف بحكم واحد فنقول المرأة كذا والمرأة كذا •

السيدة : تفضل يا عم •

---

(١) النور / الآية ٣١ .

الشيخ : أنك لاحظت من زميلاتك وغيرهن تنويع ارتداء ملابسهن بحيث قلّما تكتفي احداهن بثوب واحد او ثوبين او ثلاثة كما يفعل الرجال. فتلبس احداهن الثوب نظيفا وتبدله وهو نظيف تبدله بغيره في اليوم الواحد ثم تبدل الثاني بالثالث في اليوم التالي .. ويقاس على هذا بعض تصرفات النسوة في اتباع الهوى بغير مرجع للشريعة ، واتساءل ما هو سبب هذه التصرفات ؟ .. سكت الشيخ .

السيدة : نعم سيدي . أويدك لسوء الحظ .

الشيخ : لا تذكري سوء الحظ بل تذكري أن الله عز وجل الذي فطر المرأة قد علم أن بعضا منهن ، وإن اتبعن الستر الشرعي في تغطية ارجلهن حتى وجه القدم ، عندهن الميل لابداء الزينه ولو بصوت الخلاخل تضرب بعضها بعضها مع ضربات

الارجل عند السير فقطع عليهن الله تعالى ذلك وبالنهي الجازم . وهذا يدلنا على الميل عند الكثيرات لاظهار الزينة رغم كونهن في ذاك المجتمع الساتر على تلك الاعراف الساترة ، فكيف اذا شاع العرف الخاطيء المنكر باظهار الزينه ؟ فما هو موقف المتبرجات من هذا الامر ؟ الا يحتاج ذلك الى تذكيرهن ودعوتهن الى رحمة الله تعالى ؟ واعود ايتها الاخت الى الفطرة ، فهي من رحمة الله تعالى لكي تكتسب المرأة حب التزين والنظافة . فتبقى في عين زوجها او ذويها في اطار الالفه والرحمة والمديح ، لاسيما وان زوجها لن يرى هناك من هي افضل فتنازعه نفسه اليها . فانظري ايتها الاخت ماذا امرنا الله تعالى ثم انظري ماذا يحصل . فان الزوج الذي لا يرى من زوجته ــ لاسيما العاملات في الوظائف او المعامل ــ سوى العمل الدؤوب لتحضير طعام

الغد ، اذ ستكون هي في الدوام ، فلا زينة ولا نظافة الا لفترة قصيرة ، ثم يأتي الصباح وهو إما قد خرج او ينتظرها ، فتتزين وتخرج لتبقى مع اشخاص غير زوجها او ذويها فاذا بالمشاكل تبدأ في صراع بين غيرة الزوج او تهاونه في البيت وخارجه (كما ترين) وانظري الفرق بين من استغلّ فطرة الله للسعاده وبين من وجّهها للشقاء !

السيدة : والى متى ؟ والى أي حد سيكون هذا الحال، ايها العم الجليل ؟

الشيخ : ان اولئك تستروا وراء ما اسموه (حركة تحرير المرأة) او (الدفاع عن حقوق المرأة) ثم يتوقفوا عن نزع الازار بل واصلوا حملتهم في الحث على اتباع الموديلات (الموضة) واشادوا بجمال من تتبعها بحيث أخذ كثيرات من الغافلات

يخجلن من التخلف عن اتباعها ، حتى وان لم يكن لديها ميل لهذا الاتباع • بينما يريدنا الله تعالى ان نعود الى رحمته بطاعتنا لاوامره واتباعنا لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم • انظري حال المرأة في الغرب والولايات المتحدة • فهل هي كالجوهرة المصون ، التي حفظها الاسلام في حرز امين مكين ، لا يناله فساد ولا تهدمه البدع ؟ واذا ادّعى اولئك المضللون ان بعض النسوة من تنساق للرذيلة مع وجود التستر ، فان هذا امر قد احتاط له الاسلام بما شرعه من حدود تقام على اهل الفحش • ومالم يظهر فليس مشجعا للاخريات كما يريد ان يفعل هؤلاء المفسدون •

السيدة : اننا المسلمات ، وان أسفرنا عن وجوهنا وشعورنا ورقابنا وان لبسنا المفصل من الملابس التي تصف الجسم وتظهر الساق او الزند او اكثر فلازلنا في صيانة الشرف وحفظ الناموس

والعفة ولا نفرط بالعرض كما تعلم ياسيدي .
فهل يمكن ان يقاس علينا ما يجري على غيرنا في تلك البلدان التي تخلت عن الشرف والعفة الا ما رحم ربي ؟

الشيخ : حسنا قلت ذلك . فاذا كنت انت المصونة المحصنة بالعفة تظهرين بمظهر اولئك البعيدات عن هذه المفاهيم الشريفة فمن الملوم اذا نظر للمتشبهين بقوم نظرته الى اولئك القوم ؟ ولماذا اذاً تكثرن سواد قوم انتم بريئون من افعالهم ؟ الم تسمعي قول سيدنا الامام علي سلام الله عليه : « من وضع نفسه مواضع التهم فلا يلومن من اساء الظن به » ؟

السيدة : هنا اقف متأملة قول الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : « من تشبّه بقوم فهو منهم »(١) .

---

(١) رواه احمد في مسنده وابو داود في اللباس .

الشيخ : وهل سيؤدي التزين لمن حرم الله تعالى ان تبدى الزينة لهم الى تنمية غيرة الرجال على النساء ؟ ام العكس ؟ وهل في هذا تقدم ؟ واذا لم يكن للرجل غيرة" على زوجته فكيف يغار على وطنه ؟

السيدة : لقد ذكرتني بحوادث طلاق اثارتها غيرة بعض الازواج من تبرج نسائهم امام الاجانب(١) .

الشيخ : (وقد ادرك ان السيدة استقرت اخيرا على مفهوم يرضاه فاراد ان يلقي القول الفاصل الذي فرضه الموقف) : والآن ايتها الاخت ، وقد اجبتك على كل تساؤلك بما ارى فيه الكفاية ، واذا طلبت المزيد اوضحت لك حكم الشريعة فيه حتى تعلمي أن لله تعالى الحجة البالغة ، اسمحي لي ان اوجه سؤالا واحدا اليك .

---

(١) المقصود بالاجانب هنا غير ذوي المحرم من الرجال وغير المسموح بابداء زينتهن لهم .

السيدة : تفضل .

الشيخ : ما هو اثمن شيء لدى المرأة ؟

السيدة : ناموسها .

الشيخ : وماذا نريد لها من التذكير سوى المحافظة على اثمن شيء لديها ؟

السيدة : صدقت ياسيدي ولقد قلت كلمة (سراب) في حديثك والآن ارى افتراءات المضللين سرابا .

الشيخ : هل تقصدين (دعاة تحرير المرأة) ؟

السيدة : سمّهم حمقى صهيون او ابناء الماسون او جنود ابليس فانني الان مقتنعة معك أنه لمكر يمكرونه ومكر اولئك هو يبور .

الشيخ : الحمد لله وسبحانه عما يصفون وسلام على المرسلين . السلام عليكم ورحمة الله .

غادر الشيخ الغرفة ، تاركا زوجته مع السيدة

ولاول مرة تتكلم الزوجة ، وكانت بعمر متقارب مع السيدة ، فقالت :

زوجة الشيخ : بارك الله فيك ياختي . واللـه كنت اخشى عليك رؤية النفس والمكابرة والاعتزاز بالموقف الخاطيء . ولكن اللـه تعالى ادخل السرور على قلبي بما ابديتيه من تفهم ورشاد ، وأسأله تعالى ان يدخل السـرور عليك . انك تشاركينني بلحظة من لحظـات العمر السعيدة واسمحي لي أن اقوم لك بواجب الضيافة .

ولم تنته القصة بهذا بـل خرجت السيدة ملتفة الرأس لتذهب الى بيتهـا وتبرحه متحجبة متسـترة وتقتدي بها الكثيرات من زميلاتها ومن لها صلة بهـا حتى بلغ بهن ان قررن الحـج جماعة فبلـغ عددهن سبعين حاجة رافقن الشيخ وزوجته في ذلك الموسم .

يتضح من هذا اللقاء مدى الغفلة التي اكتنفت

الجيل المشغول بهتاف الاعلام الغربي من اشرطة وصحف وروايات ومناهج اذاعية مسموعة ومرئيه • هذا دليل على وجود تصميم منسّق لشغل الاذهان بما يبعد المجتمع عن سبل الرشاد والحشمه ، وهذا ما يريده الغرب وما تطبل له الصهيونية واذنابها في كل مكان • والغاية الكامنة وراء ذلك الاعلام هي سلخ المجتمع العربي خاصة والمجتمعات الاسلامية من القيم التي تبعث الغيرة والحمية في النفوس الى طلب اللهو والمتع الرخيصة ، وبالتالي فقدان المقومات التي تجعل الدماء تفور غيرة على الدين والوطن فترخص من اجلهما • والصهيونية تدرك ان مثل هذه الغيرة هي التي تقف حائلا دون تنفيذ مآربها التي تبث من اجلها سموم الفساد والتحلل حبا بالسيطرة على العالم • والا فما معنى الدعوة الى اباحة العلاقات المحرمة كتطور ضروري لذلك قيود العفة وتحويل معاني المحبة والوداد الى الفحش والمنكرات ؟ وما معنى السخرية من الدين

واهله ؟ وما معنى نشر المخدرات والاشـرطة الخليعة وتعليم اساليب الجريمة باسلوب متقنّع بالبراءة ؟ وما معنى تمجيد قدرات الغرب والايحاء باستحالة اللحاق بهم ؟ وما معنى التطبيل لاشخاص تافهين وجعلهم في اعين الناس عباقـرة ثم تعبير الافكار الفاسـدة عن طريقهم ؟ وما معنى الدسائس الفكرية في مناهج التعليم بحيث وجهت الفكر الى النظريات الغربية القائمة على الالحاد وانكار وجود الخالـق عز وجل وانكار لقائه يوم الدين والذوبان في هوية الغرب ؟

ها أنت ايتهـا الفتاة ، يحدوك امـل بأن تنالي السعادة ، وتؤمنين برب جليل قادر على ان يحقق لك هذا الامل . ولكنك تعلمين انه تعالى قد وضع امـام هذه الغاية عقبات الامتحان لتمييز الثابتين على الرجاء بنيل محبته ورحمته ممن يهرب مع اول عقبة تعترضه . ولكنه ايضا قد جعل سـبيلا للوقـاية من هذه الفتن والسموم السوداء التي يشقى بها اهلها . فمن اتبـع

رضوانه فقد اهتدى الى سبل السلام وخرج من ظلمات الفتن الى نور الطاعة ووقاية التقوى .

ان تفاصيل حياة كل واحد منا لا يمكن الالمام بها في كتب عديدة لكي يمكن وصف الوقايـة لكل يوم ولكل فعل ، ولكن الخطوط العامة التي توجه الانسان للوقاية واضحة جاءت في القرآن وعلى لسان الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وفي سيرة الائمة الطاهرين والمجتهدين في الدين ومن تبعهـم بالصدق والاحسان فما هي هذه الوقاية وما هي التقوى ؟

التقوى خير الزاد وخير اللباس ومفتـاح الجنة ومنادي السرور وداعي المحبة وشاهد الصدق ومحرك الصبر وباعث الفرج وفاتح التيسير ونبراس التمييز بين الشر والخير .. ولا تنتهي مباهج التقوى الا ان تتكلل ببشاشة لقاء الله تعالى راضيا عن النفوس المطمئنة التي تدخل في عباده وتدخل جنته .

فما هي التقوى ؟ هل هي مادة ملموسة او صوت مسموع او رائحة يمكن شـــمها او طعم ممكن ذوقه ؟ كلا : أنها امر مخفي عن الحواس ٠ ولكن تُعرف من آثارها كما نعرف في الاســـلاك تيارا فاعلا اذا تحركت مروحة كهربائية عندمـــا نفتح لها التيار ٠ إذاً تدلنـــا الظواهر على مؤثراتها الباطنة ، ولهذا يجدر بمن يبحث عن السعادة التي تؤدي التقوى اليها ان يعرف مـــا هي دلائل التقوى ، وما المنهج الذي يتبعه من اجلها ٠ وهذا ما يدعونا الى افراد باب لهذا النور الذي يبعث السرور، باذن الله تعالى في نفوس الذين يرون الحق حقا ويحبون اتباعه ٠

الباب الرابع
بعض دلائل التقوى ومنهجها

يذكر احدنا انه امتنع عن طعام او شـراب لان الطبيب نهاه لضرر او حساسـية او التماسـا للشفاء ، وفعلا فضّل الممتنع عافيته على هواه واشتهائه الطعام او الشراب الذي مالت اليه نفسه ، اي فضّل الأهم على ما كان يتصوره مهمـا ، وهكذا اذا تبصّرنا بالعواقب التي تحصل نتيجة كل عمل من اعمالنا التي نهواها فاننا سوف نقارن بينها وبين ما تشـتهيه النفس او تهواه ، ثم نخرج بنتيجة مقدّرة على حسـب تجاربنا وعلى حسب اعتقادنا بصحة ما تبغيه ، فاذا تخلينا عن التبصر بالعواقب فقد حكمنا على انفسنا باننا تخلينا عن نعمة

ربانيةٌ عظمى في تلك الفترة الا وهي استعمال العقل السليم الذي تفقه به القلوب وتسمع به الآذان وتبصر به العيون على وجه الصحة • فاذا لم نستجب لدعي الحق في ضمائرنا ، فالقلب يفقه والاذن تسمع والعين تبصر ولكن على وجه الخطاء والزيغ المؤديين الى الضلال والتيه والضياع • اي الى اضاعة العمر بدون فائدة ، بل بخسارة لا يُعرف مداها •

من التبصر بالعاقبة سيتجه الشعور الى المنطق السليم ثم الى اختيار الافضل من العواقب وتجنب المزالق المهلكة ما امكن • وهذا التجنب هو التقوى ، وهذا الاختيار هو التقوى • وهي حلية اهل العقول الذين لا يستخفهم الهوى ولا طبول الزيغ او نعيق الفساد المضل • انها النجاة الى مفازة لا يستطيع معها شيطان من الانس او الجن ان يحرف صاحبتها او صاحبها الى ما يتمناه لهم من شقاء وبؤس وعذاب •

ومقومات التقوى كثيرة . والاهم فيها هو الثبات عليها ، فمعرفة اسبابها ومقوماتها لا تجدى بدون ثبات واصرار وعودة اليها كلما اخذتنا غفلة او زلة . وفي ما يلي من اسباب التقوى ما يدخل في سياق موضوع هذا الكتاب بأذن الله تعالى .

اول سبب للتقوى هو معرفة الخالق الوهاب جل جلاله . ومعرفته تؤدي الى توحيده وعدم تفضيل غيره عليه ثم الى محبته . فلا يمكن ان يشبهه شيء مما نعرف ، لأن الاشياء مخلوقة او معلومة وهو الخالق والمعلم ، ولان المخلوق فقير اليه وهو الغني عنه ، فالعبد محتاج والرب يسد الحاجة ، والعبد يموت والرب يبعثه ، والعبد يعتز بعزته والا فلا عز له ، والخالق محب ودود والمؤمن يحبه مسرورا . وهكذا تكون العلاقة بين المؤمن وربه بحسن العبادة ابرازا للصلة الصحيحة بين الرب والعبد وهي العبودية . وتعني طاعة الله تعالى بأن العبد المؤمن قد توكل على

ربه العليم ولم يتوكل على نفسه بطاعة هواها بغير هدى من الله تعالى . وهكذا تكون معرفة الله تعالى مدعاة للتقوى ، لأن العارف به وبقدره الجليل يخشى ان يفقد رضاه . وكيف يخسر العبد رضا ربه ؟ انه يخسره بالمعاصي والاصرار عليها الى غير توبة . ومن اين ينبع الاصرار ؟ ينبع من باب من ابواب الشياطين تفتحه اهواء النفوس الضالة . فاذا زجرت عن الهوى اغلق الباب وعادت رحمة الرحمن من باب طاعته والعودة اليه بالصدق والتوبة .

لكل منا عمل يعمله . وهذا العمل هو رصيدنا لمستقبل خالد عند الله تعالى . فاذا قصدنا بهذا العمل جناب الله تعالى ورضاه ، وفعلناه ضمن الحدود الشرعية المرسومة لنا ، فقد اوصلناه الى عليين . واذا كان المقصود باعمالنا غير الله تعالى فالعمل يذهب الى المحل المقصود فلا نجده ذخرا بل نتمنى لو لم نفعله الا لوجه الله تعالى . اذاً كانت النية مهمة في اعمالنا . فاشتغالنا

بالكسب ، اذا كان القصد منه ان نطيع الله فيه ، كان ذخرا . واذا كان القصد منه التعالي على الناس والتبذير ، كان وبالا على اصحابه . والعياذ بالله تعالى. والنية محلها القلب الذي تنبع منه الخواطر وتتكشف فيه المعرفة والفهم والمودة وما اشبه ذلك . فاذا كان القلب سليما اي ان نية صاحبه نقية كان هم صاحبه رضاء ربه .

ولنقرأ معا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمنا كيف نجد رضاء الله تعالى بأن نحب للناس ما نحب لنفسنا ونكره لهم ما نكره لها : فقد روى ابن المبارك باسناده عن رجل انه قال لمعاذ بن جبل (وهو من احب اصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اليه) : يامعاذ حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . قال فبكى معاذ حتى ظننت انه لا يسكت ، ثم سكت . ثم قال : واشوقاه الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والى لقائه.

ثم قال سمعته يقول : يا معاذ اني محدثك بحديث ان انت حفظته نفعك عند الله ، وان انت ضيعته(١) ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله تعالى يوم القيامة . يا معاذ ان الله تبارك وتعالى خلق سبعة أملاك(٢) قبل ان يخلق السماوات والأرض فجعل لكل سماء من السبع ملكاً بواباً عليها،فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين يصبح الى حين يمسي له نور كنور الشمس حتى اذا صعدت به السماء الدنيا زكته وكثرته ، فيقول الملك الموكل بها للحفظة : اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه . أنا صاحب الغيبة امرني ربي ان لا ادع عمل من اغتاب الناس يتجاوزني الى غيري . قال ثم تأتي الحفظة بعمل صالح من اعمال العبد له نور فتزكيه وتكثره حتى تبلغ السماء الثانية ، فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه ، انه اراد بعمله عرض

(١) اي لم تعمل به .

(٢) الاملاك : الملائكة .

الدنيا . انا ملـك الفخر امرني ربي ان لا ادع عملـه يتجاوزني الى غيري . انـه كان يفتخر على الناس في مجالسهم . قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج نورا من صدقة وصلاة وصيام وقد اعجب الحفظة فيجاوزون به الى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه ، انا ملكُ الكِبر . امرني ربي ان لا ادع عملـه يجاوزني الى غيري ، انه كان يتكبر على النـاس في مجالسـهم . قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهو كما يزهو الكوكب الدرى له ذوى من تسـبيح وصلاة وصيام وحـج وعمرة حتى يجاوزوا به الى السماء الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجـه صاحبه وظهره وبطنه . انا صاحب العجب ، امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري . انـه كان اذا عمل عملاً ادخل العجب فيه . قـال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به السماء الخامسة ، كأنه العروس المزفوفة

الى بعلها ، فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه واجعلوه على عاتقه. انا ملك الحسد انه كان يحسد من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من كان يأخذ فضلا من العباد كان يحسدهم ويقع فيهم . امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري . قال وتصعد الحفظة بعمل العبد له ضوء كضوء القمر من صلاة وزكاة وحج وعمره وجهاد وصيام فيجاوزون به الى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه ، انه كان لا يرحم انسانا قط من عباد الله أصابه بلاء او مرض بل كان يشمت به . انا ملك الرحمة . امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري . قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وصيام ونفقة وجهاد وورع له دوي كدوي النحل وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به الى السماء السابعة فيقول الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه

صاحبه واضربوا جوارحه واقفلوا على قلبه . انا صاحب الذكر فاني احجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي ، انه انما اراد بعمله غير الله تعالى ، انه اراد به رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا في المدائن. امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري ، وكل عمل لم يكن لله تعالى خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائي . قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر لله تعالى فتشيعه ملائكة السماوات السبع حتى يقطعوا الحجب كلها الى الله تعالى فيقفون بين يديه يشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله تعالى ، فيقول الله تعالى: انتم الحفظة على عمل عبدي وانا الرقيب على قلبه انه لم يردني لهذا العمل واراد به غيري فعليه لعنتي . فتقول الملائكة كلها : عليه لعنتك ولعنتنا فتلعنه السماوات السبع ومن فيهن ، ثم بكى معاذ وانتحب وقال : قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

يا رسول الله ! انت رسول الله وانا معاذ ، فكيف لي بالنجاة والخلاص من ذلك ؟ قال : « اقتدِ بي ، وان كان في عملك نقص . يا معاذ حافظ على لسانك من الوقيعة في اخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم . ولا تزكِ نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم بوضعهم . ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تُراء بعملك ولا تتكبر في مجلسك لكي يحذر الناس من سوء خلقك ولا تناج رجلا وعندك آخر ولا تتعظم على الناس فتنقطع عنك خيرات الدنيا والآخرة . ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيامة . قال تعالى والناشطات نشطا هل تدري ما هن يا معاذ ؟ » قلت ما هن بابي انت وامي يا رسول الله ؟ قال : « كلاب في النار تنشط اللحم من العظم » . قلت بأبي انت وأمي يا رسول الله من يطيق هذه الخصال ، ومن ينجو منها ؟ قال « يا معاذ انه ليسير على من يسره الله تعالى عليه . انما يكفيك من ذلك ان تحب للناس

ما تحب لنفسك وان تكره لهم ما تكره لنفسك ، فاذا انت يا معاذ قد سلمت » .

من هذا الدرس البليغ نخلص بالفوائد التالية :

* التمسك باوامر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قدر الاستطاعة ففيها اسباب النجاة .
* نراقب لساننا ، فقد يجر الكلام الذي يقوله الى هلاكنا اذا تحرك بالوقيعة بين اخواننا .
* لا نلصق بغيرنا اعمالنا اذا كانت مخجلة ، بل نتوب ونستغفر ولا نصر عليها .
* نكون على وجل من تزكية النفس وعلى رجاء ان يزكيها الله تعالى باعمالنا التي لا نقصد بها غيره تعالى بأن تكون خالية من الرياء والنفاق .
* لا ندم احدا ، فلعله يُختم له بالنجاة ونحن لا نعرف خاتمتنا .
* نختار عمل الآخرة على عمل الدنيا ، فهو المدخر لنا

يوم الحساب ٠

* نحترم شعور الآخرين فلا نحرجهم بالتكبر او الخديعة او الاهمال ، او نسخر منهم او نتشفى بهم ٠
* ان نتواضع بغير ذل ٠

* نحب الستر للناس ونرجو لهم الصلاح ٠
* نتعامل مع الناس بالمحبة والصبر والايثار والشكر والنصيحة ٠
* كل هذه المزايا نكسبها ، وبالتالي نكسب قبول اعمالنا اذا وطنا انفسنا ان نحب للناس ما نحب لانفسنا وان نكره لهم ما نكره لها ٠

اليس هذا ميزانا واضحا للتفرقة بين النافع والضار وبين المنجيات وبين المهلكات ؟ اليس بهذا التفصيل نعرف قيمة ما يدور حولنا من افعال الآخرين ومن العبر والتذكرات ؟ الا يجدر بمن تؤمن بالله تعالى وتحبه وتريد منه ان يسعدها ان تفضل رضاه

على سخطه ؟ فما الذي يرضاه تعالى لنا سوى الفضائل التي علمنا عليها في كتابة وعلى لسان رسوله وبايضاح ائمة دينة الحنيف ٠

وهكذا يجدر ان نقوم بجولـة طيبة الآثر في فضائل نافعة لدنيانا وآخرتنا لكي تساعدنا على تلمس خطانا في الاختيار الصحيح ٠ ومنها :

* استغلال الوقت ، ان اضاعة الوقت تعني اضاعة العمر ٠ فكيف يضيع الوقت ؟ الوقت الذي وهبه الله لنا ونكون فيه في حال من الفهم والقدرة ما هو الا مجال لنيل الارباح ، والارباح تأتي من الاعمال الصالحة بايمان وصدق فاذا تركنا هذا واخذنا نلهو بما تهـواه الانفس ، بغير هدى من اللـه ، فقد اضعنا الوقت واضعنا الربح بل خسرنا الفرصة فلم ننتهزها للتقرب الى الله تعالى ونيل رضاه ٠ وهناك من يفكر في الماضي ويتحسر على فرص كسب الدنيا

وهكذا يخسر الوقتين ، ماضيه وحاضره • وهناك من يخطط للمستقبل من اجل اللهو والعبث بلا ربح فعليه ان لا يضيع وقته بالتمني بل يكسبه بالعمل •

★ معرفة موقع الانسان ، من الفضائل التي علمنا عليها الله سبحانه وتعالى بأن ننظر الى اعمالنا • ومن اعمالنا نعرف موقعنا فاذا قمنا بعبادة فقد وضعنا انفسنا في موقع اقرب من الله تعالى • واذا اعنا احد الناس على الخير فقد وضعنا انفسنا في موضع نافع من الناس • فالانسان الذي يحب للناس ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لها لا يجد نفسه الا كريما معهم رحيما بهم متواضعا من غير ذل • اما مخالفة صحة العلاقة مع الله تعالى ومع الناس فانها تضعنا في موقع يجعل العاقل يفر منه الى الافضل •

★ تحري سلامة الضمير ، ينزعج الانسان عندما يكون مقصرا ولكنه اذا صحح مساره وسلوكه في سبل

الحياة فانه سيرضى عن نفسه ويتخلص من الانزعاج. والنفس اذا هوت شيئا فيه تقصير فلابد من تحذيرها ونهيها . وبهذا يثبت الانسان على حال السلامة مع ضميره وينجو من الندامة ويحافظ على المشاعر السامية من سرور بالعمل الصالح والقرب من المولى العزيز المتعال .

★ ضمان المستقبل بالرجاء والخوف ، اذا اقترن الحال السعيد بسلامة الضمير فان تذوق هذه السعادة يدعونا للمحافظة عليها . وهذا ما نرجوه فنعمل من اجل نيله . كما ان الرغبة بالمحافظة على احوال الخير تدعونا للخوف عليها من نزولنا من درجاتها ، وهذا ما يدعونا للحذر ولتلمس الخطى بحكمة نحو الثبات .

★ تذكر حكمة الله تعالى فينا ، فاذا مر بنا حادث نرضاه وفقنا فيه الى حال السعادة فعلينا ان نشكره تعالى ،

في الوقت الذي نخاف ان يكون ذلك امتحانـا لنا ليرى الله تعالى هل سنبطر بكفران النعمة ؟ واذا مر بنا حال مقدر علينا ونحسبه امتناع النعم عنا فعلينا ان لا نسيء الظن بالله تعالى بل نوقن ان حكمته في رحمتنا منه قد منعت عنا شيئا يبعدنا عنه • وهكذا تطمئن القلوب بذكر اللـه تعالى ونبقى في حدود التقوى •

★ نقاء السريرة ، ان نقاء السريرة هو احد مكاسب حسن الخلق ، وحسن الاخلاق هو احد مكاسب الافعال الصالحة الموافقة لما يرضاه تعالـى من محبة وكرم وعفو ومعونة • ومن نقاء السريرة ان يعيش الانسان من اجل ربه ، اي ان يستعمل اعطيات الله تعالى له لنيل اعطيات منه اكثر • اما ايذاء الآخرين فهل يدل على نقاء السريرة ؟ كـلا بالطبع • ويكون صاحب النقاء حراً لا تستعبده شهواته الدنيئة •

★ حب الخيرات وترك المنكرات ، ان المنكرات موضع سيء لا يصلح للصالحين • فمن تركها فقد نقل نفسه من سوء الى خير • وهكذا يجد حلاوة الخيرات فيحبها ويوجه اهتمامه لها وبذلك يتجه نحوها في سمو وطمأنينة •

★ دوام ذكر الله تعالى : الله سبحانه وتعالى نور السماوات والارض ، فكلما ذكرناه فكأننا اضأنا مصباحا في قلوبنا فلو تصورنا برقا متواصلا بدون انقطاع فهل يكون معه ليل مظلم ؟ كلا • وهكذا بنور الله تعالى نهتدي الى الاعمال الصالحة اي بذكره نترك المنكرات • ويتم ذكر الله تعالى بأداء الفروض والاستعداد لها والانشغال بها بتفضيلها على اللهو واللعب وهكذا يكون الذكر متواصلا لعدم انقطاع الاهتمام بالله تعالى •

★ دلائل ذكر الله تعالى : اقتران الذكر باللسان مع

التفكير في القلب بما يقوله اللسان مع النية السامية بتعظيم الله تعالى • وهكذا لا يرتفع فوق امر الله تعالى امر يتعارض معه في قلوبنا وفي افعالنا • واذا بالذاكر يبقى مع المذكور فلا تكون هناك حجب كثيفة تحجب المؤمن عن ربه فاذا زالت الحجب لا تهجم الوساوس السيئة على القلب واذا هجمت كان المؤمن في قوة من الله تعالى بالمواجهة معها بحيث يتغلب عليها •

★ الوقوف ايضا بوجه عواصف الزمن ، يكون الانسان عرضة لبعض المفاجآت من امور الحياة اليومية فعليه ان يتخذ وقاية للوقوف بوجهها • والشخص في ذكر الله تعالى ومحبته وطلب رحمته يكون معه تعالى فلا يفاجأ كما يفاجأ الغافل الذي تبهته الحوادث • واول صمود يبدر منه هو الصبر ثم طلب المعونة من الله تعالى والله تعالى نعم المجيب • وهكذا نكون ايضا في خاتمة الحياة في مأمن من

المفاجأة عندما يظهر لنا اشخاص لا نعرفهم وليسوا كالبشر ولكنهم يبشروننا بلقاء من كنا في ذكره وطلب رحمته لننال اعطياته الطيبة . ومن طلب الكرم من الكريم لا يرتد خائبا . انه عفوّ غفور .

* الاتباع بلا ابتداع ، لقد رسمت الشريعة لنا منهاجا لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا عرّفها وفصلها . ولهذ يكون البقاء ضمن حدودها سببا للسلامة اي ننال السلامة والقرب بالاتباع . اما مخالفة الشريعة فهو خروج عن خط السير الصحيح . فمن خرج لا يمكن ان يصل الى هدف الفوز الا بالرجعة الى الخط اي الى الصراط المستقيم .

* الرجوع الى الله تعالى بعد الزيغ والضلال ، اذا حصل منا ولنا ما يخالف الشريعة فانه سيؤثر فينا أثراً مظلماً سيئا فاذا عدنا اليه ازدادت كثافة الاثر فاذا رجعنا بالتوبة زال الاثر السيء . ولنضرب لذلك مثلا . فان الانسان يتأثر بما يشاهده ، في

التلفاز مثلا ، فاذا كانت مسلسلة متعددة الحلقات ، ففي الحلقة الاولى لا تؤثر فينا الا بقدر انتهائها ولا نوجه اهتماما لموضوعها ابعد من ذلك . فاذا شاهدناها في حلقتها الثانية ، فان اهتمامنا يتجه اليها لفترة اطول حتى نهتم بغيرها . فاذا شاهدنا الحلقة الثالثة ، استمر تأثيرها علينا الى النوم . ويستمر تأثير الرابعة الى صباح اليوم التالي . فاذا كان موضوعها سلبيا يؤثر أثرا سيئا على المفاهيم والاخلاق الفاضلة ، فان اهتمامنا بها بشكل اطول يؤثر فينا اثرا سيئا . اما اذا انقطعنا عن الثانية وما بعدها ، فان اثر الاولى يزول . وهكذا نرجع الى سلامة موقفنا . فالرجوع الى الله تعالى ، باتباع سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، يجعلنا أهلا لنمو شخصيتنا وزيادة معرفة الحق وتمييزه عن الباطل لاننا اعدنا الصلة الصحيحة مع الله تعالى .

* الصبر على التمسك بالافضل ، ان النفس اذا جزعت

من مكاره الفضائل وحرمانها من لهو الدنيا ولعبها وتفاخرها ولم تروض عليها ، فلا تطمئن ابدا ، لانها تتوق باستمرار الى هذه الزخارف الزائفة ما لم تجاهد وتروض • ومثال ذلك ميلها لمواصلة التدخين فانها لن تذوق طعم العافية والطمأنية من المضار حتى تنقطع عن التدخين • فاذا تخلص المدخن من هذه العادة ، فانه يكون قد روض نفسه بالصبر اي تمسك بالموقف الافضل ، وهو ترك التدخين ، وهكذا سيذوق طعم الطعام والماء والهواء بشكل افضل وهذه هي ثمرة الصبر • ويقاس على هذا كل صبر في التمسك بالفضائل والعبادات والمحبة والخيرات •

* سلامة التفكير ، ان التفكير هو انطلاق القلب في معزل عن محيطه الخارجي الى مسألة او اكثر ليعرضها على ضميره فيتلقى منه الحكم • فاذا كان التفكير مستندا على موازين الخير الصحيحة كان

سليما وكان ما يعرضه او ينطلق اليه ذا عاقبة محمودة . اما التفكير الذي لا يعرف موازين الحق والباطل ، فانه لن ينطلق الا الى الشهوات التي تسلك بصاحبها سبل الشقاء ونيل غضب الله تعالى . ولا ينال العبد سلامة التفكير الا بعد استقراره على التمسك بالافضل واختيار الاتباع الصحيح المستند على المعرفة الصافية .

* تحري العز ، ونبذ الذل ، يكون الانسان في مقعد عزيز عند الله تعالى عندما يتمسك بالدين ويثبت على الطاعة . فاذا اغتر بهذه المنزلة ، واتجه نحو المعصية ، فلن ينفعه مقام العز الذي كان فيه ، بل يرتفع العز فوقه ، فينزل العاصي الى مواقف دون ذلك حسب حجم معصيته . فاذا تاب وندم واستغفر وعزم ان لا يعود لما ابعده عن مقام العز فانه يكون قد تحرى العز ونبذ الذل . فالمرأة التي تؤدي الفريضة قد حظيت بمقام عزيز عند الله تعالى .

فاذا خرجت من دارها متعطرة متهتكه فانها لا يمكن ان تبقى على ذلك العز وكلما غاب عليهـا تفضيل المعصية كلمـا نزلت اكثر حتى تعود الى الله تعالى عودة حميدة راضية مرضية بترك المخالفات وبأداء الطاعات .

* اختيار الموقع الافضـل بين الكبرياء والتواضـع ، يختلف هذا الموضوع بالنسـبة للمرأة عنه بالنسبة للرجل . فالتواضع في الرجل في حال معين ، قد لا يُستحسن من المرأة خشية ان يطمـع فيها من كان في قلبـه مرض . إذاً على المرأة المؤمنـة ان تتخذ موقف الكبرياء مع الرجال من غير اهانـة ، وتتخذ موقف التواضع مع النساء من غير هوان . فهي مع الفقيرة متواضعة بالكرم وحفظ مـاء وجهها (وجه الفقيرة) ؛ ومع الغنية معتزة بنزاهتهـا من غير ان تتعالى عليها او تأنف منها مما هو متعارف عليه بين الاحباب . وان الله تعالى يتولى بلطفه وتأييده تلك

المرأة التي لا يرى منها الرجل الاجنبي (عنها) نظرة او بسمة او جرجرة في الحديث في غير ضرورة . فالله تعالى غيور على عباده الصالحين واماءه الصالحات .

* مداواة النفس من علتها ، يأتي الداء للنفس من اتباع الهوى بغير هدى من الله تعالى . ويتمثل داء النفس في البحث عن المبررات غير المقبولة شرعا ، والتي توقع صاحبتها في الكذب والخداع والمكر والمغالطة حسب شدة المخالفة . وهذا يولد الداء في الصراع النفسي . فمعالجتها اذاً تكون افضل عند اول بداية للزلة ، بأن لا تختلق المعاذير الواهية (اي المبررات غير المقبولة شرعا) ، بل تواجه نفسها بالنهي والزجر فترجع الى الصواب اي الى الشفاء والراحة .

* مراقبة الجوارح ، واهم الجوارح هي اللسان والقلب والنفس . وآفة اللسان اللغو ، وآفة القلب السهو ،

وآفة النفس اللهو • فاذا جردنا هذه الجوارح من هذه الآفات ، فقد سيطرنا على الموقف الوقائي من امراض النفس • فما هي اعراض لغو اللسان ؟ هي الاكثار من التعرض للزلل والمشاكل بسبب الكلام • وأعراض سهو القلب ؟ هي الانشغال بالدنيا عن اداء الفروض والطاعات • واعراض لهو النفس ؟ هي تضييع الوقت في ما لا ينفع • فاذا راقبت المؤمنه لسانها من زلات الاذى الكلامي ، وراقبت قلبها من اتجاه اهتمامه الى زخرف الدنيا ومفاخرها الزائفة ، وراقبت نفسها من اضاعة العمر بالعبث ، امكنها معرفة ما يفسد حياتها ومعرفة تجنبه بعون من الله تعالى •

★ تجنب مفسدات الحياة والتخلص منها ، من نتائج اللغو والسهو واللهو ان يدخل الانسان في متاهات مظلمة • يؤدي به الاهتمام بالدنيا (لغير الله تعالى) الى الحسد ، حيث ينسى اعطيات الله تعالى بحكمته

للآخرين وبأنه يمتحنهم بها ، فيحسدهم العاقل ، ويدخل الفساد بذلك الى دينه • واذا مالت النفس للدنيا ، وحصلت منها على الشيء الكثير ، ابطرت وتكبرت • فيدب الفساد بذلك الى الدين ، فاذا راقبنا الجوارح بذكر الله تعالى المهيمن الوهاب ، فاننا لن نعرف الحسد ولا البطر ولا التكبر • لان الفقير والغني ، اذا كان مقصودهما الله تعالى ، فيكون فقر الفقير عبادةً وغنى الغني عبادة ، وكلاهما في خط واحد من القناعة والعفة • وهكذا تتخلص النفوس السليمة من الغيبة والنميمة والوقيعة ونسيان الآخرة وكراهية الناس •

★ القناعة ، ذكرنا القناعة آنفا فما هي : هي طيب الحياة بالرضا ، وعدم الانشغال بهموم الطمع • قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « •• وكن قنعاً تكن أشكرَ الناس »(١) • وهذه القناعة تدل على رضا العبد عن ربه ، وهذا من الشكر والذي يزيد

(١) أخرجه القشيري في رسالته •

الشاكرين اي تحصل البركة بالقناعة • وتدل القناعة على سمو عقلية صاحبها لانه لم يطمع بشيء زائل ، بل عمل من اجل شـــيء باق ، الا وهو رضا اللـــه تعالى • وقيل في الحكمة : ان العز والغنى بحثا عن خير رفيق لهما فلم يجدا افضل من القناعة • والقناعة تعيننا على محاربـــة داء الحرص • والقناعة لا تعني ترك الكسب بل تعني ان تكون النية من العمل قصد الله تعالى به والعمل بكل طاقتنا لاعلاء كلمته •

★ حصيلة هذه الجولة : التوكـــل ، وهكذا خرجنا من الجولة ، في هذه الاصناف من الفضائل ، بفهم معنى التوكل على اللـــه تعالى ، اي التصرف في حدود شريعته بالاســـتطاعه ، وترك التوكل على النفس ، اي ترك هواها المخالف لحدود الشريعة • ويكون التوكل على الله تعالى صحيحاً وتامّا اذا كانت لـــه مظاهر سلوك المؤمن والمؤمنة • ولا بأس في ايراد شيءٍ من هذه المظاهر لتكون دليلا لنا على التماس

اثبات على طريق الحق السعيد فمنها :

* الشكر ، ويشمل جوارحنا جميعا ، فشكر اللسان ذكر الله تعالى به ، والقول الحسن • وشكر العين ستر العيوب المنظورة ، وشكر الأذن ستر العيوب المسموعة ، وشكر الايدي الكرم والعمل بالحلال ، وشكر الارجل السير الى المساجد والى فعل الخيرات • وهكذا تكون الوظائف التي تؤديها هذه الجوارح وغيرها ، قياسا عليها ، قد أعلت كلمة الله تعالى بطاعته اي ان نعمة الله تعالى اتجهت الى تعظيمه بالطاعة ولم تتجه الى المعصية •

* الحياء ، قال الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يوما لبعض اصحابه رضوان الله عليهم (استحيوا من الله حق الحياء) قالوا انا نستحي يا نبي الله والحمد لله • قال : (ليس ذلك ولكن

من استحيى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى وليحفظ البطن وما حوى وليذكر الموت والبلى ومن اراد الآخرة وترك زينة الدنيا • فمن فعل ذلك ، فقد استحيا من الله حق الحياء)(١) • ولاشك ان الحياء رفيق للورع لان اتباع الشهوات والهوى لا يستقيم معه الحياء •

★ الاستقامة ، هي التخلص من مفسدات العبادة • فالذكر تكدره الغفلة ، والعاملة يكدرها الكذب، والوفاء يكدره خلف العهد ، والطاعة يكدرها طلب الدنيا ، والاعمال يكدرها ادخال البدع ، والاقوال يكدرها الزور كالغيبة وما اليها والاخلاق يكدرها سوء الخلق •

★ الصدق ، وهو ان يصدق المؤمن حتى في المواطن التي يظن ان الكذب ينجيه فيها ، او ان الصدق يضره فيها •

---

(١) اخرجه القشيري في رسالته .

* الشهامة ، وهي في تقديم العون للمحتاج ، ولو بكلمة طيبة ، وبالستر على العيوب من شماتة السفهاء ، وبعيادة المريض ، وبقول كلمة الحق ولو على انفسنا .

* حسن الخلق ، سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اي المؤمنين افضل ؟ قال : « احسنهم خلقا » . ومن حسن الخلق ان يذكر المؤمن ربه حين ينتابه الغضب . وقد ورد في الحديث القدسي : « أذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب » .

* الكرم ، لقد كان احد الاثرياء يكرم الفقراء الذين يراهم في المسجد يحسنون الصلاة اكثر من غيرهم . فعرف بعض الفقراء الذين لا يصلون هذه المزية . فكانوا يحضرون للمسجد الذي يصلي فيه فيحسنون الصلاة امامه فكان يكرمهم . فقيل له انهم يراؤونك . فقال : من خدعنا في

الله انخدعنا له .

★ الغيرة ، الله تعالى خير حافظا . وحفظه من غيرته على المحفوظ وكما تعهد تعالى بحفظ القرآن الكريم ، فكذلك يغار على المؤمن فيدافع عنه ، ويغار على الايمان فلا يرضى ان يكون عند المؤمن شريك لله تعالى . وهذا يتطلب من المؤمنين ان يتحلوا بالغيرة على دين الله تعالى والغيرة على الشرف والغيرة على العورات فيسترونها .

★ كثرة الدعاء من الله تعالى ، في الدعاء صلة مع الله تعالى بلا شريك فلا يبقى في الدعاء حجاب بين العبد وبين ربه لانه يناديه من غير نسيان او غفلة او ذكر الآخرين معه . وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « اتقوا دعوة المظلوم وان كان كافراً فانه ليس دونها حجاب »(١) .

---

(١) رواه احمد في مسنده وابو يونس في مسنده والضياء عن انس .

والدعاء يذكرنا بأنه لا توجد قدرة عند غير الله تعالى في معونتنا وانه يسخر ما يشاء ومن يشاء لقضاء حوائجنا وتفريج كربنا .

★ الادب وصحبة اهله ، وتطلق كلمة الادب على التحلي بخصال مجتمعه . فهناك من يتميز بخصلة او خصلتين من مكارم الاخلاق ، وهناك من تجتمع فيه خصال الخير بكثرة فهو الاديب اي انه قد ادب مأدبة اي اقام مأدبة للخصال الحميدة فاجتمعت عنده . واما اهل الادب فهم المتأدبون مع الشريعة ومكارم الاخلاق ، يحبون ستر القبيح ، ولا يفخرون بالحسنات ، ولا يمنون ، ولا يصخبون ، ولا يتذمرون ، ولا يتشكون . لا يخرجون من صمتهم الا لخير والى كلام مفيد او لطائف صادقة مع اخوانهم تبعث السرور بلا حرج او نقيصة . لا يخيب قاصدهم ، ولا يتعب ضعيفهم ، ولا يشقى جليسهم . يدعون بافعالهم

بلا رياء ولا كيد ولا خيانة ولا كذب • لا يعتبون، ولا يزجرون ، وان هجروا فبالتي هي احسن • صحبتهم الفلاح ، ونصيحتهم النجاح ، وسيرتهم الصلاح • فهل يُبدّلون بمن خاب في عمله واتبع هواه ، وغفل عن ربه فعصاه ، واصر على الجهل فما هو بالمهتدى ، فكيف يهتدي من يصحبه او يسير على سيرته ؟ هكذا نخسر التوكل على الله بالتوكل على الخائبين بينما نكسب الهدى بالسير مع المهتدين • وكفى بالله هاديا ونصيرا •

* الرفق ، وهو مكتسب بالتحكم (وفي الوقت المناسب) بنوازع الشدة • بحيث نبدأ الاجراءات المناسبة لمعالجة اي موقف ببداية هادئة مدروسة خالية من التعجل او الغضب ، ومعتمدة على بيان الوجهة الحكيمة للتصرف المطلوب ، وعلى نيل قناعة الطرف الآخر من المشكلة حتى

الوصول الى الغاية بأقل قدر من العنف واكثر قدر من اللطف • وهذا هو الرفق الذي يتفق مع رحمة الله تعالى • وقد قال الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : « ان الله يعطي على الرفق ما لا يعطي الخَرْق »(١) •

وهكذا وصلنا مع التوكل على الله تعالى الى الدخول في عهد على انفسنا بأننا نطيع ما نسمعه من حكمة الله تعالى في اوامره ونواهيه • وبذلك ننال من الله تعالى نفحات رحمته • وما بقينا على هذا العهد نبقى في ذمة الله تعالى ومن اوفى بعهده من الله ؟ جل جلاله •

والان كيف نستفيد من معلوماتنا وتصرفاتنا مع ذوي القربى والجار والصديق والزميل والناس اجمعين •

---

(١) رواه الطبراني في الكبير عن جرير باسناد ضعيف . ومثله حديث ان الله رفيق يحب الرفق رواه مسلم عن عائشة .

الباب الخامس

المرأة والرجل ، والمرأة والمرأة والمرأة والاولاد والصغار

ان الطفلة التي تحس بوجود من يكرمها ويدافع عنها ويضمن لها حقوقها ويوفر لها الامان واسباب السلامة ، تتجه بفهمها الفطري الى انها دائما بحاجة الى هذه الرعاية ، وتنتظر ان تتلقاها باستمرار كحق يلتزم به ولي امرها بدون ان يطالبها بشيء من اجله . وتتقدم الطفلة بالسن الى مرحلة الصبا والمراهقة ، وتحس بأن لديها قوة اكثر من السابق ولكن بنفس الوقت تحس ان لديها مزايا اكثر تتطلب الرعاية ايضا. ولا ترى في قوتها الفتية ما يوفر لها حماية ورعاية مزاياها الجديدة فتبقى في استمداد القوة الكافية من

ولي امرها • وهذا لا يحصل لدى الشباب من الرجال حيث يحس ان لديه من القوة ما يستدعي الانطلاق بها لتوفير الحماية لمزاياه الجديدة ولغيره معه • وهكذا بدأت نقطة الفرق الرئيس بين المرأة والرجل ، وهكذا استدعت فطرة الله العظيم (الذي خلق كل شيء) كلا من المرأة والرجل الى ان يكون احدهما متمما للآخر •

ان المقصود في بحث علاقة المرأة والرجل هو الوصول الى حالة مستقرة من حيث الطمأنينة والراحة النفسية التي هي مصدر السعادة • ويمكن الوصول الى هذه الحالة باتباع الاسباب والسبل الصحيحة الموصلة اليها بعد معرفتها عن كثب والثقة بحكمتها واحقيتها ان تُتبع • فاذا نجحت المرأة في السير بعلاقتها مع الرجل بما يتفق مع الفطرة السليمة كانت موفقة في نيل ثقته واحترامه وبالتالي حسر المشاكل معه الى ادنى حد •

ان الصبية التي لم تراهق البلوغ مبلغ النساء تكتسب شيئا فشيئا معرفة خصائص ابيها او وليّ امرها ~~نجد تغيرا واضحا في سلوك الزوجين بعد الزواج عن معلوماتهم ومقاديرهم عنده~~. وهكذا تعرف المواقف التي يرضاها والمواقف التي لا يرضاها ، وتتجه حسب معرفتها هذه الى الموازنة بين رغباتها المتعارضة مع رضاه ورغباتها المتفقة مع رضاه . فاذا كانت رغباتهما متفقة ، فلا توجد معضلة ، اما اذا تعارضت ، فانها ستواجه احد امرين ، اما ان تتنازل عن بعض مواقفها ، واما ان تخسر رضاه عنها . وهنا تلعب شخصية الرجل دورا مهما في سلوك المرأة ، فهي عندما تراه مثلا جيدا بين الناس تتخذ المواقف التي ترضيه الى الحد الذي تتحمله . وهكذا تدخل الفتاة عتبة البلوغ الكامل وهي تعرف انها قد تضطر الى التنازل عن مزايا ترغبها من اجل الوصول مع الرجل الذي تعيش معه الى نقطة الانسجام والحفاظ على الراحة النفسية . وتتدخل هنا

فطرة المرأة ومقادير تحملها وذكاؤها وصبرها وحكمتها وما الى ذلك من مقومات شخصيتها • ولكن في الغالب نجد تغيرا واضحا في سلوك الزوجين بعد الزواج عن سلوكهما قبله ، لاسيما وقد نشأت بالزواج حاجات جديدة لكلا الطرفين جعلتهما يشذبان سلوكهما ويبعدان منه لامكان مطابقة سلوك كل منهما مع الآخر • فنجد في بيتٍ ما تنازلا ملحوظا من المرأة ، وفي بيتٍ غيره نجد تنازلا ملحوظا من الرجل ، وهذا يتبع رجاحة عقلية احدهما ودرجة ذكائه عن الآخر • وقد يجد الرجل في مقومات المرأة ما يغنيه عن القيام ببعض واجبات رب الاسرة اذا وجد زوجته تقوم بها بجدارة وحسن تصرف ، ومثال ذلك بعض عمليات الشراء او رعاية الصغار • ويدل ذلك على ان كلا الطرفين له مسؤولياته التي هي امانة في عنقه •

لهذه المسؤوليات اهمية كبرى تستدعي معرفة تفاصيل التصرف بشأنها لكي يتصحح السلوك الذي

يوفر الاستقرار العائلي • فماذا يمكن ان يرد بشكل عام من معرفة تصرف المرأة ازاء مسؤولياتها وامانتها المعنوية ، سواء كانت زوجة وامّاً أم من افراد العائلة الآخرين ام عاملة او موظفة وما الى ذلك ؟

★ الشرف العائلي وقدسيته ، تعتبر المرأة التي لا تقصر في جهودها لوقاية الشرف العائلي كاملة كما سبق وجاء في سياق الحديث الآنف • وهذا اكثر وضوحا في بلداننا • كما تعتبر المتهاونة في امانة الشرف منحرفة بقدر ما تفعله • وهذا الانحراف ليس بالامر الهين لانه انحراف يجلب العار على ذوي المنحرفة بل يشمل اكثر من جيل منهم • وهذا يبرز اهمية ثقل مسؤولية المرأة ، وامامها عمر طويل ينتهي في شيخوخة تريد ان تكون فيها موضع الفخر والرعاية والاحترام ممن يحيطون بها من ذويها • فهل ستنال منهم هذا العطاء المحترم اذا كانت قد جلبت العار عليهم وتبرأ منها بعضهم ؟ !

★ الامانة المنزلية والعائلية ، ولها مظهران ، مظهر مادي في التدبير والنظافة والنصيحة ، ومظهر مجازي في كتمان الاسرار وحفظ كرامة العائلة • فان نشر اخبار العائلة يدل على قصر نظر المرأة وعدم حساب المستقبل فقد يكون بين هذه الاخبار ما يضر او يشين او يؤدي الى الخسارة مستقبلا •

★ الامانة التربوية ، ان بُعد الرجل عن المنزل يجعل الام في موضع المسؤولية عن توجيه الاطفال نحو الصدق والنفع وضبط النفس ، وسيذكر الاطفال هذا عندما يكبرون يردون الجميل • وافضل من ذلك سيذكر الله تعالى للمرأة ذلك وعنده الجزاء الاوفى • وسيلي الحديث عن المرأة والصغار لاحقا ان شاء الله تعالى •

★ الامانة في المعاشرة : فان الرجل يحب ان يرى من المرأة ما يرتاح له سواء اكانت زوجته او امه او

اخته او احـدى قريباته . ولاشـك أن المرأة قد اكتسبت معرفة في هذا المجال من خصائص الرجل. فهو اذا يريد سماع ما يرضيه من قول اذا ادى مـا عليه من بذل وعمـل . ويريد انْ لا يُنتقص امام الاخرين ولا يعاتب باسـتمرار ، ولا يريد سـماع التذمر بدون مبرر ، ولا يحب الحديث عن المن عليه والحديث في انتقاص من يراهم هو بخير في الوقت الذي يجب فيه ان تعرف مزاياه التي يتميز بها عن غيره .

ان قلب الرجل ، شأنه شأن قلب المرأة ، يميل كل منهما الى اولئـك الذين يكتشـفون ميزات صاحبه المتفوقة فيه ، حتى وان كان صاحبه متحليا بالتواضع . ولهذا يمكن ان يقال ان اهمال الزوجة لهذه الناحية قد يؤدي الى ميل الرجل لغيرهـا او على الاقل يرى حجابا بينه وبين زوجته ، وان الحياة قد اصبحت ذات طعم مختلف عن مباهج الرضا النفسي . بينما لو وجد

ما يرضاه ، لقابل ذلك بافضل من الود والاحترام .. الى حد التضحية .

وتنتقل من الامانات والمسؤوليات الى السلوك الصحيح للمرأة ، وهو من اسلحتها الفطرية التي تكسب بها النصر بدون قتال او خصام ، وتكسب بها المواقف المرضية من الاطراف الاخرى . ولابد لهذا الحديث ان يتطرق الى معالجة المواقف السلبية التي تهدم ترابط العائلة المنسجمة .

اول ما يتطلب للمرأة ان تتصرف به هو الرفق ، فهو الذي يحقق النتائج الايجابية الى ان يسود الوئام . وبتكرار معالجات المواقف السلبية ، يتبين لكل فرد من العائلة ما ينبغي عليه ان يتخذه من موقف مع اعضائها الاخرين الذين يعيش معهم حياته اليومية البعيدة عن التكلف . والمرأة هنا ستجد لدى الرجل آراء وطلبات فتستطيع من خلالها ان تعرف محتوياته الفكرية وحاجاته

الحياتية اليومية ، وشيئا فشيئا تتوقع ما سيكون موقفه ازاء كل حالة ثم يتطور هذا الحدس والتوقع الى خبرة صحيحة . وقد يكون حال الرجل او موقفه غير مقبول لديها بدرجات متفاوته بين الشدة والبساطة . وفي هذا الحال ستواجه المرأة مشكلة تتطلب منها تقدير العواقب القريبة والبعيدة ، وتخرج من هذا التقدير باتخاذ قرار عقلي تسير على ضوئه . فلابد لها اذاً من تحري اي اسلوب تتبعه لاتخاذ مثل هذا القرار . فكيف تجد ذلك الاسلوب ؟

ان انسانية الرجل وانسانية المرأة تختلفان بفروق فردية في الصفح او الحقد ، وفي التسامح او التشدد لدى اي فرد من الناس . فهناك من يخطيء في موقف يتطلب الرفق فيعالجه بالشدة ، بينما هناك موقف يتطلب الحزم فيتهاون به البعض بالتسامح والضعف . وتتميز المرأة عن الرجل في هذا الشأن بكون الرجل في الغالب ذا تجربة انسانية اوسع لسعة مجال تحركه في المجتمع

مع حساب صفة العطف والشفقة لدى المرأة بشكل يستطيع الرجل ان ينفذ من خلاله الى حد ما لتوجيه المرأة نحو غاياته وحسب درجة تقديراته ودرجة ذكاء المرأة وتجربتها في مثل هذه الحالات . الا ان الله تعالى قد حبى المرأة باسلحة طيبة تجعلها تاجا فوق الرؤوس وتحفظ بها حقوقها وتتميز بها مكانتها . فاذا أحسنت المرأة استخدام اسلحتها الفطرية فانها ستسد نقاط الضعف وتكسب المعركة مع المحبة من الجهة المقابلة . ولكن هناك من تتخلى عن هذه الاسلحة وتريد سد نقاط ضعفها بالكيد والغيبة والنميمة والوقيعة والانكماش فلا تحصد من ذلك الا الندم حيث لا ينفع الندم . فما هي هذه الاسلحة الفطرية الموهوبة من الله تعالى ؟

★ حنان المرأة ، وهو المتمم لكيان الانسان في انفاسه الاولى . فالحليب الذي يرضعه من امه لا يكفي لبناء شخصيته السعيدة بل يتممه الحنان الذي

يغذي نفسه بالرضا والاستقرار . ان الحنان ينقل الطفل من عالم ساكن لا تتحرك فيه العواطف الى عالم مليء بالرعاية والحنو والحدب على تلبية ما يحتاجه فتتفتح نفسه الصافية على الوفاء لهذا الحنان ولا يطيق الانفصال عن صاحبته . فهو يتبعها متعلقا بما يبهجه ويبقى على هذا التعلق في مراحل الصبا والفتوة والشباب وهذا هو المكسب المنتصر الذي حققه سلاح الحنان الفعال . ولكن هنا لابد ان تراعي المرأة مقدار الحنان اللازم للطفل بحيث يبقيه في السلامة النفسية والا أفسدته بالدلال والاتكال على الغير . ونظرا لتفاوت هبة الحنان لدى النساء ، وتفاوت اقتران الحنان بالفضائل الاخرى كالرحمة والكرم وصلة الرحم وحب الخير ، فان على المرأة ان تتخذ موقفا متوازنا يستهدف المستقبل فتضبط حنانها بالحزم احيانا لكي يواجه الطفل مسؤولياته في مراحل الرجولة

باتقان واخلاص اكثر من الذين افسدهم الدلال • وهذا ما سيتطرق اليه البحث في علاقة المرأة بالصغار • ولكن هنا يكفي التنويه باهمية الحنان كسلاح فعال في كسب المنزلة المرموقة للمرأة •

★ العفة ، يستدل على سمو المرأة العقلي بدرجة ما تتحلى به من العفة • فالعفة هي خير علاج لنقاط الضعف عند المرأة والرجل • ولكنها عند المرأة اهم بكثير • وكما ان الحنان يحرك المرأة نحو البذل والتضحية ، فان العفة تحرك المرأة نحو الثبات على الفضائل • وبذلك يكون لديها سلاح فعال في تمييز مكانتها المرموقة • ولنتصور الفرق بين العفة والدناءة كم هو بعيد واين الثرى من الثريا ؟

★ الصدق ، يكتسب الصادق النجاة في كل الاحوال • واجمل الصدق ما كان في موضع يتوقع صاحبه ان ينجيه فيه الكذب ! والصدق عند المرأة اكثر اثرا

وابعد نفعا من كثير من الفضائل ، لانه سياج العفه ، فالحرص على الصدق يجعل الانسان حريصا على كل فضيلة لان اول الصدق يكون مع الله تعالى سرا مخفيا يبعث على سماحة الوجه وصفاء السريرة وحسن الخلق • والصدق يضع صاحبه في حال من السمو فيتبادر الندم الشديد لحمايته اذا بدرت بادرة تحط من سموه ولو من قبيل الملاطفة والدعابة او المجاملة • فالرسول الكريم صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يلاطف ولكن لا يقول الا حقا •

* الصمت عن لغو الحديث ، تكون الرزينة في تصرفاتها ذات صمت يرفع منزلتها عن لغو الحديث وكثرة الخوض في امور لا داعي للتحدث عنها • وهكذا يكون الصمت للمرأة سلاحا آخرا يحقق لها النصر في مواقف كثيرة فهي ستعرف بحسن التصرف فلا يرقى اليها اتهام بشيء من الصغائر ولا

ينسب اليها حديث سيء كذبا ، لان الذي يريد ان يكذب عليها يعلم مسبقا بان احدا لن يصدقه . وهكذا .

* العفو والستر وترك العتاب ، ان هذا السلاح الكريم المتمثل بالتغاضي عن الزلات والعيوب يضع المرأة في موقف موقر محبوب . فان زلات الاخرين وهفواتهم لا تعني ان نترقبها لنضع عليها عدسة مكبرة ونشهر بصاحبها ، بل الاجدر ان نلتمس لفاعلها عذرا ، ونتجاوزها بحيث تتصرف باحترام انفسنا وكأنها لم تكن وهكذا يتحقق مكسب المودّة وان كنا لا نبحث لانفسنا عن الفخر والمديح والاحترام ، بل يحصل ذلك كنتيجة ملحقه بالترفع عن الزلات والعفو عند المقدرة والستر بدل الفضيحة .

* قبول الاعتذار ، ان الشخص الذي يتقدم بالاعتذار

عن هفوة او زلة ، يعني حاله انه قد ندم على ما بدر منه بعد ان اكتشف انه قد اخطأ • وهنا يكون قبول العذر مثل اقالة عثرة عاثر ، فاذا وجد المعتذر عندنا رحابة صدر فانه سيطمئن الى رجوع مكانته عندنا وبذلك نحقق مكسبا لا يمكن تحقيقه بالشكوى والمعاتبة • اما اذا تكررت الزلة بحقنا فالاجدر ان نقلل من اللقاء معه تدريجيا بحيث لا نتواجد في الاماكن التي يلتقي بها معنا عادة • وبذلك نرتاح من مشاكله ولا نحمل عليه حقدا ، ولا نترك له مجالا للحقد علينا •

★ الترفع عن الصغائر ، هناك امور تدل على صغر العقل ، كالتهور ، والتسرع في الحكم الخاطيء ، وتتبع اخبار الناس ، وما الى ذلك • وهذه الامور تكون وليدة عدم التريث • فاذا انتقل تصرفنا الى الذين ينالهم السوء ، فلاشك اننا سنرتبك ونضعف فماذا يجب علينا سوى التريث قبل اطلاق اللسان

او اليد . بل نقدر العواقب التي يتحقق فيها الخير لنا فندرك ان علينا التريث والتبين والترفع عن الصغائر ، اي عن كل أمرٍ لا يرضاه الشرع والعرف الصحيح .

* الوفاء وحفظ الأمانة ورد الجميل والصدق في العهد والوعد والنصيحة ، وكل هذه الفضائل تكون في المرأة اقوى واطيب اثرا منها عند الرجال ، لانها بهذه الفضائل تضفي على موقفها عزا ورفعة لا يمكن ان تنالها بالمال او القوة .

* التفاؤل واظهار الحال الحسن ، فطالما يكون التذمر والتشاؤم من الاسباب التي تضعف موقف الانسان، وتدل على صغر عقله وعدم تقديره الصائب للامور، فأن التفاؤل واظهار الحال الحسن في موقف معين ، بدون مبالغة او كذب او تفاخر،يكونان من الاسباب التي تقوي موقفه .

★ الثبات على المواقف الحازمة ، في حالات معينة في مجال عمل المرأة مع الرجال من غير اقاربها ، تواجه المرأة نماذج من الشخصيات منها الوقور ، ومنها الغث الهزيل المزعج ، ومنها المتصابي او المهمل او المشاغب • ولا شك ان لكل تصرف يحصل مع المرأة موقفين من قبلها : موقف متهاون ضعيف ، وموقف حازم ثابت • ولكن هناك حالة صحيحة لمكانة المرأة في هذا المجال ، الا وهو اول يوم تداوم فيه المرأة بالعمل • فالجميع معها يتصرفون وكأن بينها وبينهم حجاباً من الرزانة والتقدير • فاذا كانت المرأة ذات حصافة ، اي ذات تقدير صائب ، فانها ستحافظ على هذا الحجاب بأساليب كثيرة ، اهمها ان تكتم رد فعلها على تصرفاتهم امامها ، فلا تبدي احساسا يستدل منه على الضعف كالضحك من التفاهات او التعقيب على آرائهم • فما بقيت على حجاب اول ايام الدوام فانها ستحافظ

على مكانتها الرزينة المحترمة . ومن قبيل المحافظة على موقفها ان لا تذم احدا ولا تمتدح احدا ولا تخضع بقول ينالها منه السوء بل تقف بحزم كأن تقول: (هذا لا يليق بنا) او « ان الله يحب معالي الاخلاق ويكره سفسافها »(١) او ان تصمت في ترفع عن السرد وفي هذا بلاغة ابلغ من القول . وهكذا لا تدع نقطة يتصورها الآخرون ضعفا فينفذون منها الى ما هو ابعد شيئا فشيئا فتفقد المكانة التي كانت عليها اول ايام دوامها .

* وقد ذكرنا التوكل على الله تعالى : اي المداومة على عبادته . وبذلك تكون المرأة ـ وكذلك الرجل ـ في رعاية الله تعالى الذي يدافع عن المؤمنين ويجعل لهم مهابة وتصديقا ومحبة .

أما المرأة مع المرأة ، فالموضوع لا يقل اهمية عن

---

(١) حديث شريف رواه ابن حبان في صحيحه .

علاقتها بالرجل . فالمرأة مع اختهـا في الفطرة تكون عرضة لاطلاعها اكثر من اطلاع الرجل على نقاط قوتها وضعفها ، وذلك لان كثيرا من سد حاجات المرأة يتم عن طريق النساء . ولهذا لابد للمرأة المؤمنة الحصيفة(٢) ان تكون على علم بموضع خطواتها امام النساء ايضا، فلا تفتح لهن كل مكونات علمها واحوالها ، ولا تستمر مع اللواتي يُخشى من اقتباس بعض المحاذير منهن ، بل الاجود حماية الفضائل بالابتعاد عن اهل الرذائل ، وحماية الاقتصاد المشروع من ذوات التبذير ، وحماية الستر على العيوب من معاشرة المغتابات او النمامات ، وحماية الرزانة من ذوات الاستهتار والثرثرة ، وحماية الزهد والعفة عن جمع الدنايا بالابتعاد عن المتفاخرات بالمتاع الزائل ، فان مثل هؤلاء لا يحترمن الفقيرات او حتى متوسطات الحال ، بل يقدمن التقدير والتبجيل

---

(٢) الحصيف من كان صحيح النظرة الى الامور وراجح العقل .

لذوات المال الطافح ولا يهمهن الالتزام بالدين والقيم المثلى في المجتمع .

وتكون الصالحات من النساء قدوة حسنة . ويستدل على الصالحات بحسن التربية والتدبير واداء العبادات والزهد بما في ايدي الاخريات والصبر والشكر والمحبة للاخريات والصفح عن المسيء والنصيحة في موضعها والكرم بلا اسراف والترفع عن التفاهات وعن كل ما يعقب اللوم والعتاب والضغينة . وهذا لا يعني ان تقطع المرأة علاقتها بمن لا تتمتع بهذه الصفات ، فان لها زميلات وقريبات من شتى الاصناف، ولابد من حصول لقاءات وعلاقات تقتضيها الظروف . فمعالجة تحاشي امثالهن تتمثل في تحاشي قضاء وقت طويل معهن بدون مبرر ، وتتمثل في ابداء النصيحة اذا كانت تنفع ، وحتى ان لم تنفع النصيحة فعلى الاقل تعرفهن بموقف المرأة الصحيح لكي لا يتوقعن منها مجاملة او مجاراة بالامور التي لا يرضاها حسن

التصرف والشرع الحنيف • واذا ارادت مفارقة احداهن فبالمعروف من غير ان تشعر تلك ان هناك خطة متعمدة لمقاطعتها •

أما صحبة الفاضلات فلها آداب تؤدي الى الاستفادة منهن • ومن قبيل ذلك قبول نصائحهن وترك مخالفتهن في التوجيه المعروف • واذا استوجب الامر استشارتهن او السؤال منهن عن امور الدين فباللطف او التأدب •

اما المرأة مع الصغار ، فالدور الذي تقوم به المرأة هنا دور مؤثر على مستقبل الصغار طيلة سني الطفولة والصبا • فالاولاد هم اهل المستقبل ، رجالا ونساءً ، فاذا علمت المرأة ان الطفل امانة عظمى ، فعليها ان تؤدي واجباتها في المحافظة عليها حتى ينتهي دورها معها • وهنا على المرأة المؤمنة المصلحة ان تعلم ان هذه الامانة التي بين يديها تتكون من ثلاثة مقومات،

ولكل عنصر من هذه المقومات اثره في سلامة شخصية رجل المستقبل وامرأة المستقبل • فعليها اذاً ان تسير وفق معرفة سليمة بالتربية ، واهمها اثار التصرفات التربوية على سلوك الصغار والنتائج التي تُتوقَعُ منها • وهذه العناصر هي : —

١ — جسم الصغير ؛ وهذا يحتاج الى معرفة بالتغذية والارواء والنظافة والوقاية ما امكن من اخطار البيئة ، ثم العلاج الفوري قبل استفحال الامراض •

٢ — العنصر الثاني هو نفس الصغير ، والمقصود بالنفس هنا ذلك العنصر الموجه للسلوك والتصرف القولي والعملي والخلقي • وهذه النفس لا تتأثر بدرجة الذكاء بل بضوابط العقل لان هناك اذكياء متفوقون في الدراسة ولكن تبقى نفوسهم ذات سلوك متردي لا يرقى الى السلوك السوي • ومنهم من يصل الى حد الاستهتار والوقاحة والجريمة • فالحالة هذه تستدعي

من الام او من تقوم مقامها في التربية ان تهتم بتنمية سمو وتصعيد النفس وذلك بغرس مفاهيم الشهامة والحياء والنخوة والتعاون على شكل قصص وارشاد ولفت النظر الى ما هو خير او ما هو سوء مما يحصل في الحياة اليومية . ويحذر هنا من الدلال الذي يتلف خاصية الاعتماد على النفس وتحمل المسؤوليات مهما كانت صغيرة او هينة . وهذا لا يعني كبت حنان الام وحرمان الاولاد من البشاشة والرعاية ، بل يعني ان تأخذ بيد الطفل الى القيام باعمال تخصه اولا بأول حتى يعتاد ان يخدم نفسه بنفسه كأن يكلف بغسل جواربه وترتيب منامه وتنظيف الغرفة التي ينام فيها وغسل طبق طعامه واناء شربه . فاذا تعلم ان يخطو نحو الخارج فيصحب للسوق القريب وبعد فترة يكلف بشراء اشياء صغيرة مما تستعمله الام في الحياة اليومية ولا يؤنب على ارتفاع الثمن او رداءة المادة بل يوجه الى المحاسن التي غفل عنها في المادة المشتراة من اجل

المستقبل • واول تصرف يتلقاه الصغير على اخطائه هو التحذير من تكرارها ، فاذا كرر خطأه بشكل عمد ولم يعتذر ، فافضل عقوبة له هو مقاطعته لفترة يوم او اقل بلا بشاشة ولا حديث • وتبين له الام السبب • فانه اذا خسر الاطراء والتشجيع جراء هذه المقاطعة ، فسوف يحاول استعادتها بتصحيح سلوكه ولا يكرر ما سبب له خسارتهما مستقبلا • ويُراقب عن كثب في لعبه خارج البيت ليعرف مدى اندماجه في المجتمع الجديد وينبه بطريقة سهلة ومفهومة الى اخطائه او يشجع على محاسنه ليصحح سلوكه وتنمو عنده مقومات التصرف السليم مع مراحل نموه •

والنفس قد تتخلف في نموها اذا تركت بدون ارشاد وحزم ولمست الدلال والسكوت عن الخطأ • وهذا التخلف يكون على درجات بين الحالة القريبة من الحال السوي وبين الحالة المتردية • ومن مظاهر الحالة

المتردية قلة الخجل او الحياء من الكبار ، والقسوة على الصغار ، والضجر عندما لا تسير الامور على ما تهوى النفس حتى وان كانت مخطئة ، وعدم التحلي بالوفاء بالوعد او التمسك بالصداقة .. واذا لم تعالج هذه الحالات فانها تتدرج سوءً مع تقدم العمر حتى تتطور في مرحلة الشباب الى المجون والحياة اللاهية العابثة عند الرجال والى الاهمال والتبذير والاسراف والفشل عند النساء . ولابد هنا من الانتباه الى تنمية الفضائل بالتشجيع والثناء على ادائها او التحلي بها بشكل غير مبالغ فيه . ويمكن معرفة مدى تنمية هذه البادرة في الطفل بما يعكسه من ذاته عندما يتحدث عن اقرانه او عن القصص التي يسمعها . فانه سيكشف درجة قلة تمسكه بالفضائل اذا ابدى اعجابه بمن يرتكب السلبيات كالهرب من المدرسة او السخرية من المهتمين بالدرس. وفي هذه الحالة تصحح مفاهيمه بتبصيره بالعواقب التي تنتج عن السلبيات ، وتضرب له الامثلة بالقصص

الواقعية التي تجرّ فيها السلبيات مشاكل لا تحتمل على اصحابها كالخسارة المادية او الازدراء الاجتماعي او المرض والعاهات وما الى ذلك. ويجدر هنا بالابوين ان يكونا على مستوى مثالي في الصدق والوفاء والالتزام بالوعود والعهود وبالمكافأة والمؤاخذة حسب المقتضى ، ليكون الصغار على علم بالاسلوب الذي يسير عليه الانسان الفاضل الذي لا يقبل لنفسه الازدراء والمهانة . وهكذا تنمو الخواص الايجابية لدى الصغار بطريقة جذابة كأنها من صميم حياته المألوفة التي لا يرتاح لغيرها ، فلا يعجبه سواها ولا يرضى ان يخرج عن خطها المستقيم ، ويتدرج نحو التصرف الحسن مع اهله وجيرانه وزملائه في مختلف ظروف علاقاته بهم ، وينشأ على محبة الناس ومحبة الخير لهم فيكره لهم ما يكره لنفسه . وهذا النمو النفسي يعطي مددا للحياة الجادة ، بعد ان يندمج في المجتمع ويكوّن اسرة جديدة ، فتنعكس محتوياته المتكاملة على

شخصيته ، فلا يقبل الا ما يسمو بـه في عين نفسه واعين الناس بدلا من ان يكون عنصرا تافها لا يطمئن اليه احد ولا يرعوي عن نقيصة .

٣ـ اما العنصر الثالث فهو الذكاء ، فان الله تعالى قد حدد القسمة من الذكاء بالحكمـة الربانية التي لا يعلم مداها غيره . ولكن الذي يهمنا هنا هو ان تراعي الام ناحيتين ، الاولى : نسـبة الذكـاء الى العمر ، والثانية : درجة التحمل من حيث الفهم ووعي التصرف في البيئة التي تحيط بالصغير . فالعلم مثـلا يعطى بالمقادير المناسبة لنسبة العمر ولكن التفوق فيه يكون على حسب استيعاب الاذكى فالاذكى . فهناك من هو قوي الملاحظة الى درجة العبقرية ، فيربط بين ظواهر الحياة وبين حياته معها ويستنبط منها نتائج صحيحة نافعة . وهناك من هو فوق الوسـط يتعلم بسـرعة ويخزن في الذاكرة وينتفـع بما تحويـه في الوقت المناسب ، ولكنه لا يلحـق ذلك العبقري الذي يعلّم

غيره بنتائج جديدة تفهمها من غير معلم . وهناك من هو متوسط الذكاء اي انه لا يتخرج من علوم المدرسة ولا يراها ثقيلة على استيعابه ، ولكنه لا يحاول الاتساع الى معرفة عامة اكثر تشرق بها نفسه ويخزن منها ما يمتع به فكره ويوسع افقه . وهناك من هو دون الوسط ، يسعفه ذكاؤه ان يعيش في المستقبل بنجاح في مجال عمله او اسرته ، ولكنه لا يأبه لزيادة التعلم ولا يملك الشوق للعلم . وهناك من يحتاج الى جهد كبير ورعاية اكثر ليتلمس خطاه في سبل الحياة ، ولكنه مع هذا لا يتخلف في مرحلة الرجولة عن شق طريقه فيها بعمل مناسب لاسيما اذا وجد البيئة الرحيمة المشجعة وتكون حياته افضل مع الزوجة الذكية .

هذا التدرج في الذكاء يدعو الام والاب والاستاذ المعلم الى التوقف عن تحميل الطفل او الصبي او الحدث الذي يربونه ما هو فوق طاقته الفكرية حتى يكون في راحة ذهنية مستقرة ولا

يتخوف من جبال العلم التي لا يتسلقها الا المتفهمون. ويراعى تدرج الذكاء في تدرج المعلومات لضمان الاستزادة في العلم وصحة المعلومات .

والغرض الذي يجب ان يستهدف من العلم هو النفع العام وليس قضاء الوقت بدون ثمرة او سرور بالعلم الجديد ، حتى وان استعملت وسائل اللهو كحل لالغاز والمطالعة العامة في حياته ، فيجب ان يكون الغرض منها تحفيز فكر الصغير للتطلع الى الجديد والانتقال من الالغاز الى المطالعة ثم الى الاندماج في الكتب المدرسية بعد ذلك والتطلع للعلم النافع .

يلاحظ هنا ان على الامهات التعاون مع الآباء بشكل جدي وصريح في تربية الصغار حتى يبلغوا سن المراهقة التي تعتبر ثمرة طيبة او غير طيبة لما زرعه الابوان والمدرسة فيهم . فالصغير الان قد تكونت شخصيته الاولى التي ينتقل بها من مرحلة انتظار

التوجيه الى الاستقلال المشوب بالغرور قبل ان يكمل ويلطف من غروره بالعبر والدروس التي يتلقاها في الحياة . وهكذا نجد ان دور الأم يؤثر بشكل اوسع من دور غيرها في توجيه الطفل والصبي ، من العبث الى الجد ، ومن اللهو الى اكتساب العلم النافع . وتبقى ذكريات جهودها الصحيحة خالدة مع الجيل الذي ربته والجيل الذي يعقبه متأثرا به . وتمتاز حياتها في الكمال الذي عاشته بانها حياة طيبة ، خالية من عيوب النفس واوساخ القلوب ، فلا تشاؤم ولا تذمر ولا مكائد ولا افتراء او نميمة او غيبة او فضائح لعورات الناس وعيوبهم ، ولا تبذير ولا اسراف بل سمو يجعل ايامها ثوابا سعيدا في دنياها وآخرتها . وعند الله تعالى الجزاء الاوفى .

الباب السادس

الوقاية من الخلافات الزوجية واحلال الانسجام والعبرة من اخطاء الآخرين

اليس من المدهش ان الانسان (الذي يستطيع ان يجعل من حياته مبعثا لسروره وسرور غيره) ينغص حياته وحياة غيره ؟ نعم هذا ما يحصل من حوادث الخلاف العائلي الناجم عن سوء التدبر والفهم من احد الاطراف لموقف الطرف الآخر .

ومن المألوف من حوادث الطلاق مثلا ان اكثرية طلبات الطلاق تكون بعد ان تصل الحياة بين الزوجين الى حد لا يطاق . وقد شرع الله تعالى الطلاق كمخرج للتخلص من هذا الحد وايجاد السبيل الاصلح لكلا

طرفي الطلاق . ولكن هذا الحل الحلال هو ابغض الحلال الى الله تعالى ، اذاً كان المفروض في الانسان ان لا يصل الى الحد الذي لا يجد للخلاص منه مخرجا الا بالطلاق . ولكنه اذا لم يتمكن من توجيه سفينة حياته مع شريكه الا لطريق مسدود ، فما عليه الا البحث عن مخرج جديد لحياة جديدة ، مع شريك آخر او بدونه .

وعند استعراض حوادث الطلاق او الخلاف الشديد نجد ان الاختيار لم يكن صحيحا قبل الزواج . ولو كان كذلك لما حصل الطلاق . وعلى هذا يتوجب على اهل الفتاة المخطوبة ان يتريثوا قبل الاقدام على عقد القِران حتى تتبين لهم الحقائق المهمة المؤثرة على سلامة الزواج . فليس بمجرد ثراء الخاطب او شهادته الجامعية او سمعة عائلته ، وليس بمجرد جمال الفتاة او ثرائها او سنها المبكر ، تجري المراحل على عجل فاذا بالمفاجآت تواجه الزوجين واسرتيهما بما تتطور معها

الامور من سيء الى اسواء . وعلى هذا لابد من التأكد اكثر من الامور قبل اعطاء الكلمة بالموافقة واهمها :

- صحة المعلومات التي قدمها الخاطبون من حيث السن والعمل والشهادة وما الى ذلك .
- درجة تمسك المخطوب له بالاخلاق الفاضلة والتعبد والجدية ، ودرجة بعده عن المنكرات والسفاسف .
- سلامة عائلته من الصفات الخطيرة التي تنتقل بالوراثة كالجنون والعاهات الموروثة .
- قدرة الزوج على النهوض بمسؤولياته الزوجية والابوية من حيث سلامة البدن والصحة والسلامة الفكرية في صحة تقدير المواقف وما الى ذلك .
- اصدقاؤه ، من هم ؟ وكيف يعيش معهم ؟ فكم من امرأة طلبت الخلع لمعاقرة زوجها الخمر وصعوبة تركها مع اصدقاء السوء .

ـ مدى حاجـة اهله لـه ، وهل يتمكن من النهوض بمسؤولياته تجاههم اضافة لمسؤولياته الجديدة او ان يستقل عنهم مستقبلا ؟

كما لابد لمن يبحث عن زوجة صالحة طيبة تطيب معها الحياة الطويلة ان لا يتعجل بل يراعي ان يطلب ذات الدين ويتحرى ذلك بالاستفسار عن سيرتها في المدارس ـ لاسيما الثانوية والجامعة ـ وعن تربيتها لشدة اثر الام على البنت . فالأم المسرفة على نفسها المستهترة تجني على بناتها بما يقتبسـنه من افعالها . بينما تكون الام الفاضلة مثلا اعلى لابنتها فتقتبس منها مكارم الاخـلاق وحسن التبعّل(١) حتى وان كانت البنت لا تلحق امها ذكاء وحكمـة . ويراعي الخاطب درجة تمسك والد الفتاة بالكسب الحلال وان ادى به

---

(١) التبعل : هو تصرف الزوجة مع زوجهـا ضمن حقوقه عليها وواجباته تجاهها .

ذلك الى الكفاف وشظف العيش فأن اثر الحرام على الاولاد اثر مهلك من جراء مشاركة الشيطان .

ان المشاكل تنحسر الى اقل حد عندما يكون الزواج مدروسا غير مرتجل . ويستحسن في هذا المجال الانفتاح والصراحة بين طرفي الزواج لكي لا يكون هناك غش او اخفاء لاجابة عن سؤال معين .

وتكون المشاكل ذات اسباب متعددة ، منها ما يتعلق بالمال ومنها ما يتعلق بالاخلاق . فمن مشاكل المال ، اما البخل في محل يتطلب فيه الكرم ، او التبذير في محل يتطلب فيه التدبير . فاذا كان الزوجان على مستوى متقارب من التفكير والحكم على الامور ، فلن تكون هناك مشكلة . ولكن المشكلة تحصل اذا اتصف احدهما بالتبذير والاخر بالحرص ، ولكل منهما مبرراته . وخير علاج لهذا الخلاف هو بيان الطرفين اسبابهما احدهما للاخر بشكل مقنع على ان يكون هناك

حكم بينهما في حالة عدم الاقتناع لأحدهما بموقف صاحبه • ومن حيث الاخلاق فان العرف الذي يسير عليه المجتمع لاسيما ما ورد بـه نص ديني هو المقياس للحكم على التصرفات •

ومن المشاكل ما يتعلق بتفاوت الذكاء والعقلية والنفسية وهذه متعددة جدا لاسيما وان الزواج ليس معاملة او صفقة تجارية يمكن الرجوع عنها بسهولة فمن الازواج من يتوقع من زوجة المستقبل ان تكون عبقرية في كل امورها الفكرية والمنزلية والتربوية وفي ذوقها وحلها للمشاكل وتصرفها السليم وفي معاملة أهله او أهلها وهكذا • ولكن يفاجأ عندما لا ترقى في علميتها وذكائها الى هذا المستوى فلا يجد تجاوبا فكريا تطيب معه العشرة الزوجية • ويفاجأ باهمال متعدد النواحي في الامور المنزلية ، ويفاجأ بمعاملة الاطفال بشكل لا يتفق مع مفاهيم التربية المتعارف عليها • كما يفاجأ بتصرفها الاهوج مع الجيران والأقارب ! • ماذا يفعل ؟

هل يلجأ الى الطلاق ، ويجني على مستقبل اولاده ، ويعيش في حالة مترددة ؟ ام يختار له زوجة ثانية وبيتا ثانيا فيهمل رعايته للبيت الاول وتزداد شقة الخلاف ؟ ام هل يستسلم للواقع فينصهر بشخصيته في تقبل ما يحصل على انه لمر لا يمكن اصلاحه ؟ أم يكون هناك يوميا شجار وعراك وخصام وهجر واتهامات واهانات؟ وبذلك يكون بيته من النوع المنكسر الذي ينعكس انكساره على نفسية الاولاد ، فلا يكون لهم مبعث سعادة وسرور كما يكون البيت المنسجم . قد يلجأ بعض الازواج الى تصرفات تزيد الامر سوءاً وتوسع شقة الخلاف بسبب جديد كالغياب عن البيت او التهور في المعاملة . ولكن الاصح في مثل هذه الحالات اتباع المراحل التي وجهنا اليها الخالق جل وعلا فقال : « .. واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فأن اطعنكم فلا تبغوا عليهن

سبيلا »(١) .

فما هي خصائص هذا التوجيه الرباني ،

١ ــ ان تكون المرأة قد خالفت الوصايا الدينيه في حسن المعاشرة الزوجية ويخشى من سوء خُلقها ونشوزها ، اي زعزعة العلاقة الزوجية الصحيحة.

٢ ــ ان يكون الزوج على ثقة من صحة موقفه .

٣ ــ ان يبدأ بالموعظة اولا ، ولو بكلمات قليلة سهلة الفهم لبيان الحجة والدليل المستمد من الشريعة. وهنا يتضح موقفها هل ستتقبل الحق ام تصر على التصرف الخاطيء .

٤ ــ فان لم تدرك موقفها ، وترجع الى نفسها فتترك ما هي عليه ، فان التوصية الربانية لمعالجة هذه الحالة تكون بالهجر في المضجع . وهذا يعني

---

(١) النساء / ٣٥ .

مقاطعة الزوج لزوجته فقط في العشرة الزوجية التي احلها الله للزوجين دون سواها • ولا يجوز في هذه المعالجة انقطاع الحديث معهـا او هجر البيت او قطع المصروفات الاعتيادية بالتقتير او الاهانة • بل تترك في هذه الحالة ليتضح موقفها ومدى درجة تقديرها للعواقب • ولاشـك ان الامرأة الحصيفة ستدرك انها ستواجه اختيارات متعددة من جراء تصرفاتها ، فهي اما ستنتبه الى ما سيؤدي اليه موقفهـا من تصدع في الهدوء العائلي ومؤثراتـه على افراد العائلـة (خاصة الاطفال) وبهذا تفسح المجال لعقليتها بالموازنة في ما بين الامور والخروج بنتيجة حاسـمة في الرجوع الى التماسك العائلي ، واما سـيغلبها العناد وتصر على خطئها • وهنا سيلوح امامهـا وجها لوجه مصيران سلبيان ، اولهمـا الضرب ، والاخر اولى مراحل الطلاق ، اي طلب التحكيم •

وفي هذين المصيرين بشاعة كافية لان تردع النفس المصرة على الخطأ فتنتهي عنه .

٥ ــ فان فاءت وعادت الى قبول الحق والعمل به فعلى الزوج هنا ان يعود الى وصلها وينمي هذا التحول بالتشجيع بالثناء والهدايا المعقولة وان يعاونها في امور البيت على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وما كان عليه آل بيته واصحابه الكرام عليهم جميعا السلام .

وقد احتوت الحكمة الربانية في توجيهاته الرحيمة امورا لا تدرك اسرارها لاول وهلة . ويقول من يجهل كنهها : كيف يكون هذا من الله تعالى ؟ ولنأخذ مثلا الحالة المرغبة التي يمر بها من يريد ارجاع زوجته المطلقة طلاقا بائنا ثلاثا . فانها لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره ، الا ان الذي يدرك اثر هذا سينشرح صدره لما شرع الله تعالى حيث سيدرك ان هذه الحالة المرغبة هي افضل ما يحذر من الطلاق ، ولولاها لتعددت

حوادث الطلاق ! ، انها الشبح المخيف لمن طلق مرتين ورد زوجته فان الثالثة ستجعلها بعيدة المنال ، او يرخص لنفسه ان يلعن فقد لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المحلل والمحلل له . وكيف يستطيع الزوج ان يتناسى مثل هذه المصيبة لو حدثت ؟ وهكذا بمثل هذه الحكمة احل الله تعالى ضرب الزوجة ، كحل ثالث واخير قبل الطلاق ، لنشوزها وسوء خلقها . وانها لحالة تستدعي تقديرا لها وتفكيرا بها قبل الوصول اليها . الا ان الله تعالى قد خول الزوجة ان تطلب التحكيم في الخلاف مع زوجها قبل ان يضربها ولكن طلب التحكيم هذا مرحلة اولى نحو الطلاق بنفس الوقت . فقد قال تعالى « وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من اهله وحكماً من اهلها ، ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما،ان الله كان عليما خبيرا»(١)،

---

(١) النساء / ٣٥ .

فان خافت منه نشوزا او اعراضا فقد قال تعالى « وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا ، والصلح خير .. »(٢) .. وخير الصلح ما يكون مبنيا على ما يرضى الله تعالى . وهذا يحصل بتقوى الله تعالى ونبذ البخل والغضب وشكوى الظروف وسوء الخلق . اما اذا لم يرد احدهما الاصلاح ، رغم جميع هذه المراحل ، فقد سد على نفسه السبل الا سبيلا واحدا ، هو ابغض الحلال الى الله ، وهو الطلاق . ولا شك ان هذا السبيل سيكون راحة للطرفين من المعاناة من الخلاف الذي يقضي على السعادة ، وخير مخرج من الضيق ، فقد قال تعالى : « وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا عليما »(١) . وحذر الله تعالى في هذا الامر من الظلم،

---

(٢) النساء / الاية ١٢٨ .
(١) النساء / ١٣٠ .

وامر ان يتوخى المؤمن العدل قواما بالقسط شاهدا لله على نفسه او الوالدين والاقربين • قال تعالى : « يا أيها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ، ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا ، وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا »(٢) •

اما عواقب الطلاق فمتعددة ، خاصة اذا كان هناك اولاد دون البلوغ • واما ابعاد هذه العواقب فمختلفة باختلاف البيئة والامكانية المادية والمستوى الثقافي • ولكن على العموم يبقى الكسر مؤثرا في النفوس ويبقى اثر الجراح لا ينمحي • فليتق الله اولئك الذين يريدون الطلاق واللواتي يردن الخلع قبل الاقدام على هذه الخطوة وليذكروا ان هناك ما

---

(٢) النساء / ١٣٥ •

يستحق التضحية والصبر ، وان العاقبة للمتقين الصابرين .

ومن الامور التي تنفع المرأة في المحافظة على سلامة البيت الجديد الى نهاية ما شاء الله لهم من حياة ان تراعي النقاط التالية : ـ

ـ التفاهم مع الزوج بالحكمة ، وذلك امر ضروري لمعرفة موقفه في كل امر . هنا يتبين له الحق او تعلم هي ان كان معذورا ام لم يكن .

ـ ترك اشراك طرف ثالث بينهما في الخلافات او اظهار وجود الخلاف امام الاخرين فان ذلك يثير غيرة الزوج على كيان العائلة ومظهرها بالشكل الصحيح .

ـ الاستئذان من الزوج اذا ارادت الذهاب من بيتها او محل عملها الى مكان آخر لحاجة مهمة ضرورية كالسوق او العيادة الطبية .

ـ ترك غيبة الزوج امام الاولاد مهما كان عنده من

سلبيات في نظرها فان هذا الفعل يؤدي الى تفكك العلاقة بين الاولاد والاب بحيث يتطور الامر الى اهانته مع تقدمهم وتقدمه في السن .

ـ امتداح الزوج على فضائله بشكل لا يشعر انه مجاملة او كذب .

ـ حفظ حقوقه في ماله وولده وسمعته .

ـ عدم مقارنته جهارا امامه او امام غيره مع من هو افضل منه في نظرها ، خاصة مع من هم من اهلها فان هذا جرح بليغ في قلبه لا يندمل بسهولة .

ـ ترك العتاب ما امكن . وان كان لابد من ذلك فبالملاطفة وفي اوقات الانسجام وعلى انفراد من غير تهجم او مشاكسة .

ـ مراعاة ظروفه المالية واحواله النفسية عند قيام الحاجة للمصروفات المهمة غير المعتادة .

ـ لا تبدي له الا منظرا جميلا ورائحة طيبة وكلمة لطيفة

تدخل بها السرور الى قلبه • كأن تحدثه عن المفارقات التي مرت بها مع زميلاتها او جاراتها او عن تصرفات الاولاد البريئة المبهجة •

ـ تشجيعه على بر والديه وصلة الرحم واكرام اهله في حدود المعقول •

ـ تبادر بمسامحته عندما يشعر بأنه مخطيء بحقها في امر غير ذي بال وتقبل عذره ، ولا تعيره بما سبق وفعله من هذا القبيل •

ـ لا تذم مشترياته او تستغلي سعرها ، ولا تستخف بذوقه او رأيه في امورهما المشتركة بل تبدي اعجابها به في حدود الصدق •

ـ تهتم به اكثر عند اي وعكة او مرض بحيث يكون شغلها الشاغل شفاؤه وسلامته •

ـ تواسيه في مشاكله في العمل بحيث تزول همومه

بين بشاشتها ولطفها ويستعد لمواجهة الحياة بشجاعة وامل .

ـ تكرم ضيوفه بما يرضيه وبما يحب ان يلقوه منه .

ـ تهتم بهواياته المفيدة . وعندما تكره هواية غير نافعة منه ببدي رأيها بما يشعره بأنه اسمى واعلى من مثل هذه الهواية .

ـ واخيرا لا تمن عليه بخصالها بل تشعره كأنها تؤدي واجبا بفطرة سليمة ولا يستوجب عليها المديح او الاطراء وتشكره اذا اثنى عليها مع بيان ان ما تفعله واجب وهي سعيدة بذلك .

ان مثل هذه التصرفات وهذا السلوك وهذه الاخلاق من الزوجة تجعل الزوج مرتبطا بها وببيتهما ارتباطا وديا بحيث يكون البيت ويكون لقاؤها ربيع قلبه الذي يتوق الى العودة اليه بعد عناء العمل ، فلا يتركه الى غيره . وهذه النتيجة حتمية اذ ان الرجل في بيته

لا يرى قدرا لاي فرد في العائلة اسمى من قدره ويعتبر هذا من حقه فاذا لمس ان حقه هذا موضع اهتمام زوجته واولاده ، فانـه لا يتردد في التضحية ردا للجميـل واثباتا لشهامته مع من يحترمون هذه الخصال فيه • وان الطريق الوحيد لاصلاح سـلوك الزوج يكون بتذوقه حلاوة وطيبة العيش في البيت فلا يتوانى في تصحيح سـلوكه من اجل المحافظة على مكانته التي يرتاح لها بين افراد بيته •

ان المعالجات النافعة لمشـاكل الاسرة تبدأ من المرأة التي تعرف علة المشكلة وتعرف التصرف لحلها مثل الطبيب الذي يفلح في تشخيص المرض ويهتدي الى الدواء الصحيح • ولا تنجح المرأة في ذلك الا اذا قدمت مصلحة البيت ككل على مصلحتها كفرد ، وهذا ما يسـمى بـ (تكران الـذات) • فعندئذ تكون تصرفاتها متجهة نحو الحفاظ على سلامة الجو العائلي ووقايته من آفات التكسر والانحلال • وبهذا تكون

سيدة الموقف ومالكة الزمام وموضع الفخر والتقدير، وبالتالي تمتلك القلوب مودة ورحمة ، فلا يكون رد الجميل لها الا ثناء وتكريما من الزوج ، وبرا وفخرا من الاولاد ، واعتزازا من غيرهم وجزاء طيبا من المولى عز وجل في الدنيا والآخرة يهون معه كل بذل وتضحية صادرة عن طيب نفس وسماحة قلب ونقاء سريرة .

الا ما اطيب العيش عندما يسود التفاهم والتضحية والصبر واحترام الاخرين والرفق والرحمة والكرم والتسامح والبشاشة والرضى والقناعة . وهذا كله يكلل ببركة من الله تعالى فهو يحب الخير واهله ويوفقهم لرضاه .

وصلى الله على سيدنا محمد القائل « خيركم خيركم لاهله » وعلى آله واصحابه وامته الكريمة والحمد لله اولا وآخرا .

المحتويات

الصفحـــة

خطبة الكتاب ٣

الباب الاول : المرأة في مثل كامل كريم ٧

الباب الثاني : حركة المرأة الانسانية نحو الكمال ١٨

الباب الثالث : قشور الثقافة الغربية ، مظاهرها ومقاصدها ٣١

الباب الرابع : بعض دلائل التقوى ومنهجها ٦٩

الباب الخامس : المرأة والرجل والمرأة والمرأة والاولاد والصغـــار ١٠٣

الباب السادس : الوقاية من الخلافات الزوجية واحلال الانسجام والعبرة من اخطاء الآخرين ١٣٣

المصـــادر :

١ ــ القرآن الكريم بتفاسير متعددة .

٢ ــ كتب الصحاح .

٣ ــ كتب السيرة النبوية .

٤ ــ الرسالة : لابي هوازن القشيري .

٥ ــ خطب ومواعظ دينية متنوعة .

طبع الكتاب بموافقة وزارة الاعلام
المرقمة ٢٢٣٩ والمؤرخة ١٩٨٩/١٢/٢٦

« من لم يشكر الناس لم يشكر الله »

لا يسعني في ختام هذا الكراس الا ان اشكر الاخوة العاملين في مطبعة عصام التي لمست فيها الالتزام وحسن الخلق مما جعلهم قدوة في نشر العلوم النافعة .

المؤلف

كتب للمؤلف : ـ

١ ـ نور على معرفة (معرفة الخالق جل علاه) ١٩٨٦ .

٢ ـ حقيقة الاسلام ١٩٨٨ .

٣ ـ المـرأة ١٩٩٠ .

يصدر قريبـا : ـ

« سـبل التقوى »

تفسير قوله صلى الله عليه وآله وسلم عن تقوى الله تعالى « ان يطـاع فلا يعصى ون يذكر فلا ينسـى وان يشـكر فلا يكفر » .

يطلب هذا الكتاب وكتب المؤلف الاخرى من الناشر

مكتب السويس

للترجمة والطباعة والنشر

شارع الرشيد / حيدرخانة

ص . ب / ١٤١٤٤ باب المعظم

بغداد ـ العراق

هاتف : ٤١٥١٨٨٥

الحمد للـــه رب العالمين

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٢٩٢
لسنة ١٩٩٠

الطبعة الاولى ١٩٩٠

مطبعة عصام ـ بغداد هاتف ٤١٥٤٥٨٢